

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي -



جامعة اكلي محند اولحاج البويرة

كلية الآداب و اللغات

قسم الادب العربي

الموضوع:

## تجليات النسق المضمّر في رواية ابن الفقير لمولود فرعون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الادب العربي

تخصص: نقد حديث و معاصر

- تحت إشراف الدكتورة:

أ. اوديحاح نادية

إعداد الطالبة:

تالي فاطمة

بلقاسم نعيمة

لجنة المناقشة

الأستاذ: سعيدة تومي .....

الأستاذ: اوديحاح نادية .....

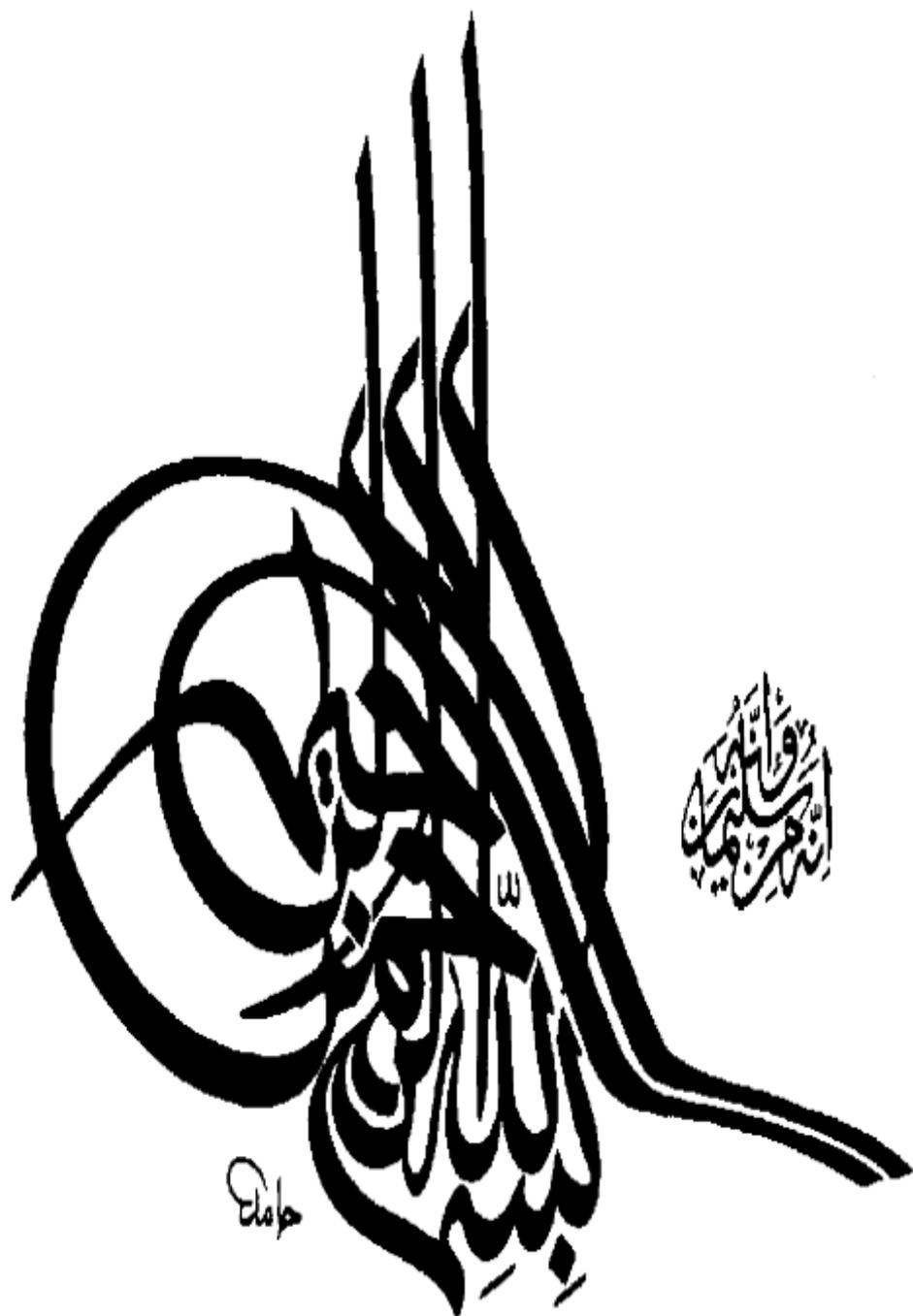
الأستاذ: عزيزي مليكة .....

رئيسا

مشرفا

ممتحنا

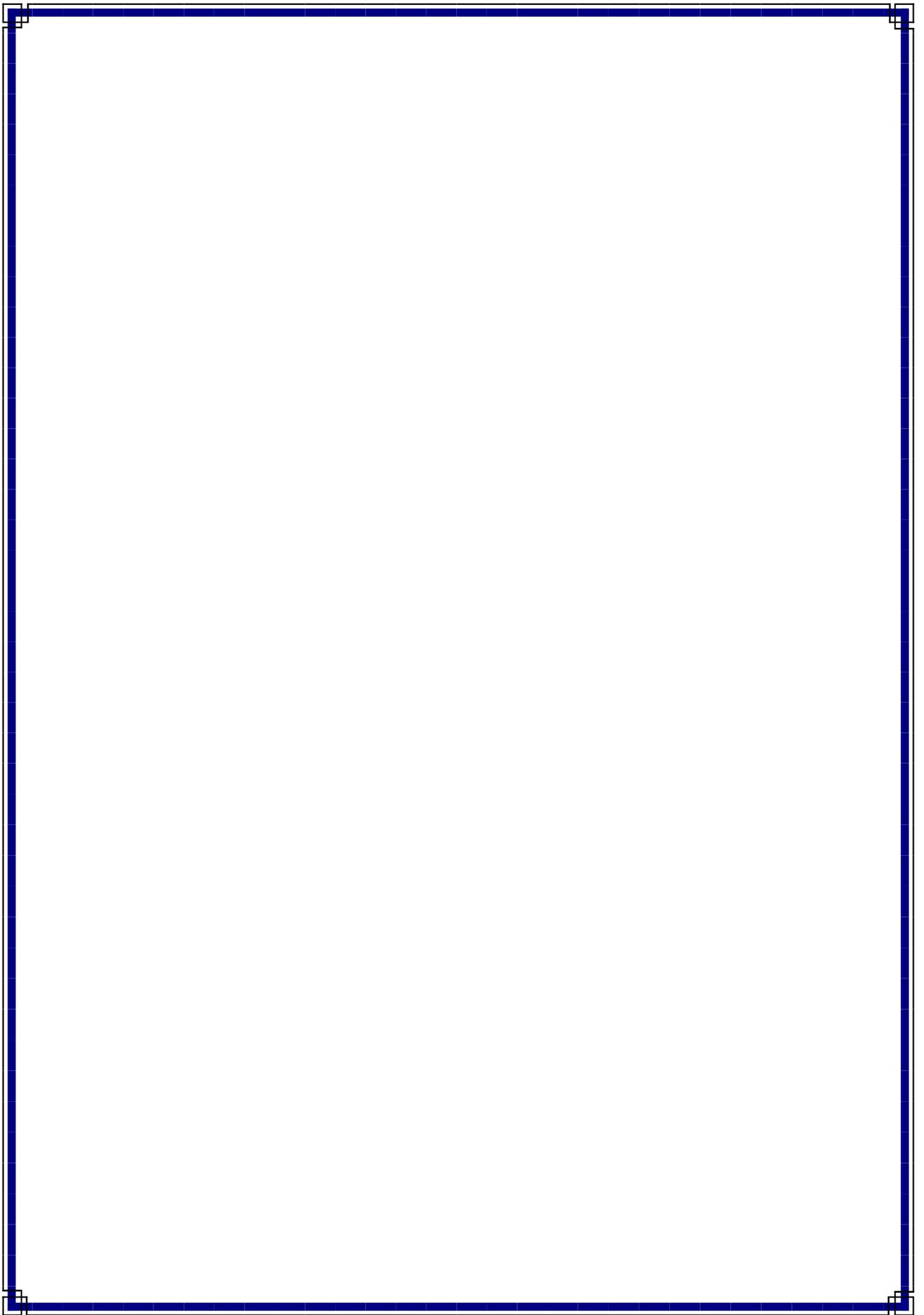
السنة الجامعية: 2022/2021

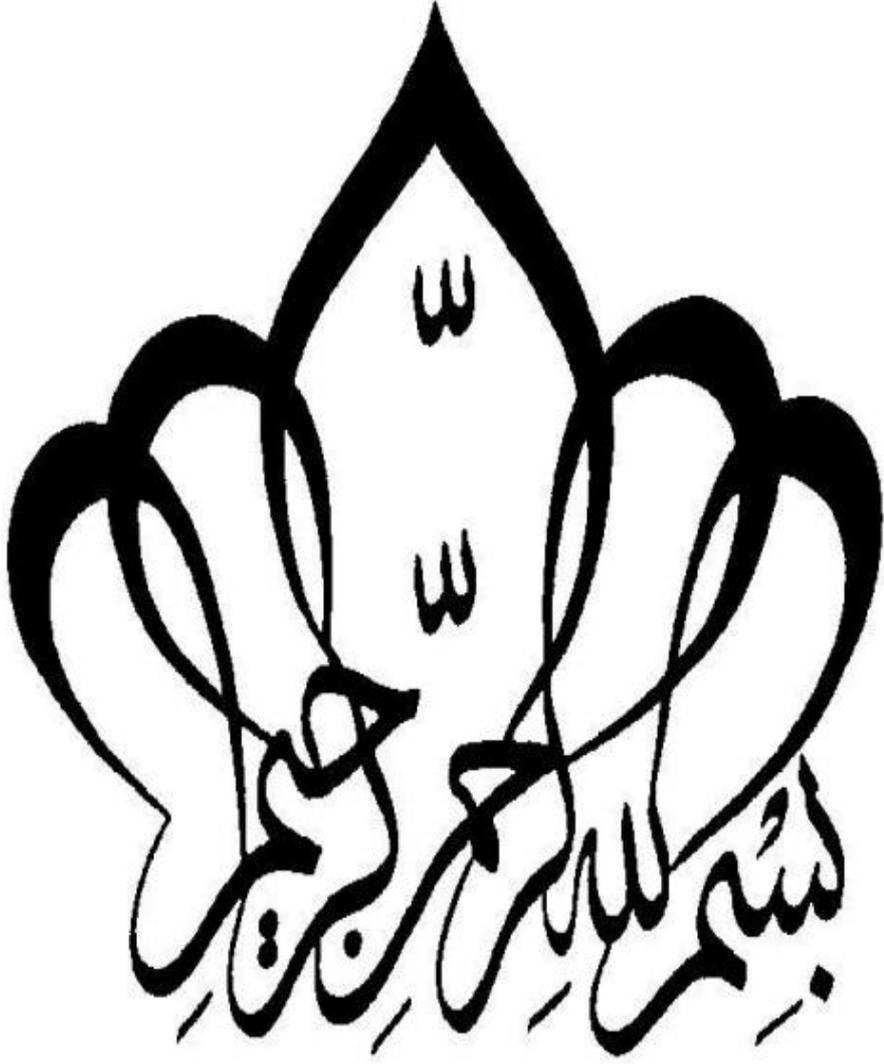


يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ  
أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

صدق الله العظيم

سورة المجادلة: الآية (11)





شكر و تقدير:

الحمد لله القائل "ولأن شكرته لأزيدنكم" فله الحمد والشكر أولاً وآخراً وظاهراً

وباطناً والسلام على خير الشاكرين محمد صلى الله عليه وسلم

أشكر جامعة ألكلي محند أولحاج ولاية البويرة أتاحة لي الفرصة لهذا العام الأخير

وهو نيل شهادة ليسانس في قسم اللغة والأدب العربي الذي فتح ذراعيه

لاحتضان الطلاب لمواصلة دروسهم في الدراسة، وأشكر الأستاذة "أوديجات

نادية" المشرفة على هذه المذكرة والتي نشأ البحث تحت رعايتها وأسأل الله

العظيم أن يجزيها خير الجزاء علي.

## إهداء

حزن يشوه الفراق بعد التجمع وفرح لبزوغ فجر جديد من حياتي هو يوم تخرجي  
هو بالنسبة لي يوم ميلادي أطلع فيه لما هو آت من همسات هذه الدنيا المليئة  
بالتفاؤل والأمل المشرق

إهدائي هنا ليس لتخرجي فقط بالتحقيق أنا وصدقتي في سماء مملوءة بالغمام  
وثمرات تقطف عندما تكون بائعة وما نحن نقطف إحدى هذه الثمرات التي  
ينعم لنا وهي تخرجنا في انتظار تخرجنا أن شاء الله

تعلي في هذه الكلمات البسيطة ذات الحروف التي تتمايل بتمايل أنامل يدي  
العاجزة عن كلمة هذا الإهداء بسبب الفراق ....

هل سأخضع لكلمات لكل من ترك بصمة في حياتي وخير من مجراها وعمق في  
توسيع مداركي العلمية والعقلية

لكل من علم أجزائي بين فترة وأخرى .....

لكل من أشعرني أنني لست وحيدة في مجتمع مختلف ...

إهدائي لك أيتها الأم التي كنت عوناً ودفء بين أخوتي

إهدائي لك أيها الأب لأنه عندما تنطفأ الأنوار لابد من إضاءة الظلام

اليكو أروع أرق تحية وأعذب سمفونية سمعتها وأرسلتها علي مسامحك أحرر

من كل قلبي

سيفتح قلبي هنا برمة ليستقر بين أنظاركم ما كتبت لعلها هذه المفردات تكون

خير حتى تتذكروني يوماً ما .....

أليك أستاذتي عبارات شكر تجعل منك .. لأنك أكبر منما لكن نكتفي بقول

الفاخر أحمد شوقي " قم للمعلم وفية حجلاً "

نعيمه .. فاطمة

فهرس المحتويات	
الصفحة	الموضوع
	الشكر والعرفان
	الاهداء
	تمهيد
01	مقدمة
<b>الفصل الأول: ماهية النسق المضمرة</b>	
<b>ماهية النسق المضمرة</b>	
05	1. مفهوم النسق (لغة، اصطلاحاً)
08	2. مفهوم المضمرة (لغة، اصطلاحاً)
12	3. خصائص النسق المضمرة
14	4. شروط النسق المضمرة
14	5. سياق الرواية المضمرة
<b>الفصل الثاني</b>	
<b>تجليات النسق المضمرة في رواية ابن الفقير</b>	
<b>النسق الثقافي</b>	
22	اللغة

23	1.1 اللغة الشعرية
25	المجاز
25	التكرار
26	الوصف
27	صورة المرأة
27	1.2. زوجة عمه
28	2.2. الجدة
28	3.2. الخالة الكبرى
28	4.2. الخالة الصغرى
29	3. المباني المختلفة
29	أ. ديكور البيوت القبائلية
32	4. العادات والتقاليد
32	أ. عادات الزواج
33	ب. عادات الجنائز (الحزن)
	<b>النسق السياسي</b>
37	1. هوية الوطن
39	2. رمزية العنوان
39	3. الهوية الأمازيغية (القبائلية)
	<b>النسق الاجتماعي</b>
42	1. الحياة الاجتماعية
43	2. نسق السلطة

44	3. النسق الذكوري
45	4. نسق اللباس
46	5. نسق الأطعمة
47	6. الممارسات الخرافية في العلاج
49	7. نسق الطبقيّة
52	خاتمة
54	قائمة المصادر والمراجع

تفہیم

تعتبر رواية "ابن الفقير" من أهم الروايات التاريخية التي ظهرت في عهد الاستعمار، والتي نشرت أحداثها سنة 1950 وهي أول عمل للكاتب الجزائري "مولود فرعون". وتعد هذه الرواية مزيجا من الواقع والخيال، حيث أنها تحمل بعدا للسيرة الذاتية من جهة وبعدا آخر من الخيال من جهة أخرى، وتدور أحداث هذه الرواية في منطقة القبائل وبالضبط في منطقة "تيزي هبيل" مسقط رأس "فورولو" والذي يعد مثلا يفتدى به في الكفاح والنضال في سبيل العلم والموروث الثقافي والديني.

"فورولو منراد" بطل هذه القصة صبي ولد في جو أسري أمازيغي يسوده الفقر المتقع، وعلى الرغم من الحياة الصعبة التي عاشها إلا أنه ظل محافظا على عاداته وأخلاقه وقيمه التي ورثها عن أبائه وأجداده فأظهر لنا الرواية بأنها خاصة ببلاد القبائل فقط، ولكنها هي رواية الشعب والمجتمع الجزائري كله، أو بالأحرى هي خاصة بالفئات الاجتماعية الفقيرة، حيث تجسد لنا هذه الرواية الحياة القبائلية بكل حيثياتها، وأشكال المواجهة التي يعانها الأهالي ضد الحاجة والفقر، وهذا باشتغال عدة أعمال من جني الزيتون ورعاية الأغنام وصناعة الفخار وهذا مادفع "فورولو" الى إيجاد لغة وثقافة غريبة محاولا بها تغيير واقعه الأليم، وهذا يتمثل في دراسته في ثانوية فرنسية، وعلى الرغم من خوفه من الفشل والإحباط إلا أنه ناضل لاكمال ما بدأ به ليحقق بذلك ذاته وكيانه قاهرا بذلك جميع الظروف المحيطة به.

## نبذة عن حياة "مولود فرعون"

وتقع على بعد عشرين كلم من مدينة تيزي وزو<sup>1</sup>

لقيت آثاره رواجاً كبيراً بين أوساط القراء، ومن أهم أعماله رواية "ابن الفقير (le fils du pauvre)" ومن خلال ما قدمه في مشواره يحق لنا القول انه "بامتياز روائي لأرض القبائل، وتمثل روايته شهادة قيمة عن المجتمع الجزائري"<sup>2</sup> عامة وعن القبائل خاصة.

بدأ مشواره الدراسي في السابعة من عمره في مدرسة (تاوريت موسى)، وبعد أن استفاد من منحة دراسية واصل تعليمه في مدرسة تيزي وزو، ثم التحق بالمدرسة العليا (ببوزريعة)، ومن هنا بدأ مشواره في الكتابة من خلال مساهمته البسيطة في مجلة متواضعة (la prifame)

تحصل سنة 1935 على منصب معلم للغة الفرنسية بمدرسة تاوريت موسى التي لا تبعد كثيراً

عن مسقط رأسه

وفي سنة 1946 عين مديراً لنفس المدرسة، وترأس سنة 1952 إدارة الدروس الابتدائية بعين

الحمام

وفي سنة 1957 عين على رأس إدارة مدرسة الناظور بسلامبي، وعين سنة 1960مفتشاً

للمراكز الاجتماعية التي أنشأت سنة 1955 بمبادرة من جيرمان تيلون.

ومن أقواله الشهيرة نجد "أكتب باللغة الفرنسية لأقول للفرنسيين أنني لست فرنسياً"

لقد كانت كتاباته بمثابة رد على الفرنسيين الذين يصرون على أنها لا هوية لها ولا هي بأمة

ولا مجتمع، وهذا ما حفزه لإنتاج عدة أعمال يفتخر "فيها بالموروث الثقافي والعادات

الجزائرية.

<sup>1</sup> ملود فرعون، ابن الفقير، دار ثلاثنقيت للنشر، بجاية 2016،

<sup>2</sup> لونييس بن على، تفاحة البربري، قراءات نقدية مفتوحة، ط، منشورات فيسيرا، 2012، ص183.

## أهم مؤلفاته

خلف "مولود فرعون" عدة أعمال ولاقت صدى كبيرا، وترجمة الى عدة لغات منها الألمانية والروسية والبولندية والعربية نذكرها فيما يلي:

- الأرض والدم la terre et le sang الصادرة عن دار du seuil عام 1953
- رواية نجل الفقير le fils du pauvre التي صدرت عام 1950 عن دار النشر du seuil ثم أعيد طبعها في نفس الدار المشهورة عام 1954
- أيام القبائل، كتابان، jours de kabylie ظهر هذا العمل أول مرة سنة 1954 عن دار baconnier، وأعيد طبعه سنة 1968 عن دار النشر du seuil.

- الدروب الوعرة les chemins qui montent الصادرة عن دار du

seuil سنة 1957

- أشعار سي محند les isfra de simohand دراسة ميدانية نشرت سنة 1960 عن دار

النشر les edition de minuit

- يوميات الكاتب journal التي نشرت عام 1962 عن دار النشر du seuil

- رسائل أصدقائي lettres à ses amis المنشورة عام 1969 عن دار du seuil

- عيد ميلاد lanniversaire نشر هذا العمل، سنة 1972 عن دار du seuil . وهو عمل

تركه غير مكتمل.

# مقدمة

## مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه الذي نطق بالقرآن والسلام على آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين

ان الرواية الجزائرية "ابن الفقير" والتي ظهرت في عهد الاستعمار تعتبر أول عمل للكتاب الجزائري مولود فرعون، حيث ذكر فيها نوع من الواقع المعاش في القرى القبائلية، من خلال المزج بين الواقع والخيال التي تحمله الرواية في طياتها، فكانت الرواية الجزائرية أداة للأنساق المضمر، ومما لا شك فيه أن النسق المضمر ركيزة من ركائز النقد الثقافي حيث نقوم باستخراج الأنساق المتخفية داخل الرواية والمغلطة بطريقة مضمر، فللنسق المضمر خصائص وديناميكيات يعنى بها ولذلك استوجب علينا طرح الإشكالية التالية:

ما هو النسق؟ ماهية المضمر؟ ماهي شروطه وخصائصه؟ ولحل هذه الإشكالية ارتأينا الاعتماد

على المنهج الوصفي الذي يساعد على البحث والتحليل وكذلك التعليل

وبهذا الصدد قمنا بتقسيم هذا البحث الى تمهيد وفصلين فضلا عن مقدمة وخاتمة

وبالنسبة الى التمهيد فقد تناولنا فيه لمحة عن ملخص الرواية الجزائرية ونبذة عن حياة مولود

فرعون مع أهم مؤلفاته.

أما الفصل الأول فذكرنا فيه ماهية النسق المضمر لغة واصطلاحا، بالإضافة الى أهم

الخصائص والشروط للنسق المضمر

أما عن الفصل الثاني تمحور حول تجليات النسق المضمر في رواية ابن الفقير والتي تناولنا

فيها مجموعة من الأنساق الثقافية، السياسية، الاجتماعية وكذا المفاهيم المرتبطة بها والمتداخلة معها

ولقد وقفنا في تجليات الأنساق لإبن الفقير على ثلاثة أنواع هي:

النسق الثقافي الذي إشتهل على تراث منطقة القبائل العريقة التي تجلت داخل الرواية

والنسق السياسي الذي تضمن عدة عناوين أبرزها هوية الوطن، رمزية العنوان، والهوية الأمازيغية القبائلية

يليه نسق اجتماعي الذي تعدد وتنوع في الرواية بكل أشكاله للتعبير عن الحياة الاجتماعية، التي يطغى عليها سلطة الذكر على الأنثى

وفي الأخير ذكرنا أهم النتائج التي توصلنا إليها في خاتمة البحث

وكأني باحث في هذا المجال صادفتنا بعض الصعوبات منها: قلة المصادر والمراجع، عدم

القدرة على التنقل وجمع المادة العلمية لإنجاز هذا العمل، بالإضافة إلى ضيق الوقت المحدد.

ويعود الفضل إلى الله تعالى أولاً ولي التوفيق، اللهم هذا العمل وهذا الجهد وعليك التكلان،

والى الأستاذة المشرفة "أوديات نادية" من رحابة صدرها في من أعطتنا القوة والعزيمة بصبرها علينا

وأخيراً أسأل الله أن يوفقنا إلى ما نحبه ونرضاه

الفصل الأول  
ماهية النسق المضمّر

## ماهية النسق المضمّر

6. مفهوم النسق (لغة، اصطلاحاً)

7. مفهوم المضمّر (لغة، اصطلاحاً)

8. خصائص النسق المضمّر

9. شروط النسق المضمّر

10. سياق الرواية المضمّر

## 1. مفهوم النسق

**لغة:** يعد مصطلح النسق من بين أهم المصطلحات الرائجة في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، فإن

النسق من كل شيء ما كان على نظام واحد عام في الأشياء

يقال: "أنسق الرجل إذا تكلم سجعاً، والنسق: كواكب مصطفة خلف الثريا"<sup>1</sup>

- وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: بين الحج والعمرة، وقال شهر: معنى

ناسقوا تابعوا، يقال: نسقه نظمه على السواء: وانتسق هو تتاسق والاسم النسق، وقد انتسقت هذه

الأشياء بعضها الى بعض أي تنسقت.

- وفي معجم الوسيط "نسق) الشيء-نسقا: نظمه، يقال: نسق الدر، ونسق كتبه، والكلام:

عطف بعضه على بعض (أنسق) فلان: تكلم سجعاً (ناسقا) بين الأمرين تابع بينهما ولألم وانتسقت

الأشياء: انتظم بعضها الى بعض والنسق ما كان على نظام واحد من كل شيء يقال: جاء القوم

نسقا، ويقال كلام نسق: متلائم على نظام واحد"<sup>2</sup>

- وورد في قاموس محيط المحيط وفي باب النون ما يلي:

- [ نسق >> ن؛ س؛ ق << - نسقت ، انسق ، انسق.

- "نسق العميق" نظمه، "نسق الكلام"، رتبه بإتقان، "نسق الكتب" رتبها نضمها.

- [ن-س-ق] على "نسق واحد" على نمط واحد "سار على نسقه" منواله، أي سار على

سيره ، "حروف النسق"، حروف العطف. (غ)

- النسق ما جاء من الكلام على نظام واحد

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 6، دار صادر، ط1، بيروت لبنان، 1917، ص353.

<sup>2</sup> إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مج1، المكتبة الإسلامية، ط، إسطنبول، تركيا، (دت)، ص

- والنسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد وهو عام .
- ويقال جاءت القوم والخيل نسقا، وغرست النخل نسقا.
  - أما مصدر نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض وبابه نصر، و(التنسيق) التنظيم .
  - فالنسق في اللغة العربية لا يخرج عن مفهوم النظام والتلائم والتتابع.

## اصطلاحا

النسق هو مجموعة من الأجزاء تكون متماسكة ارتباطا ومتكاملة حركيا ومتكافئة وظيفيا، ومتناغمة إيقاعيا.

فالنسق يتنفس ويحيى وجوديا ووظفيا من خلال تكامل وظائف أجزائه المترابطة. يشكل مفهوم النسق محورا مركزيا في مشروع النقد الثقافي، وهذا المفهوم يتحدد عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد فالوظيفة النسقية لا تحدث الا في وضع محدد ومقيد، والنسق كما عرف عند " تالكوت بارسونز " بأنه "نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي"<sup>1</sup>

\_ كما يعرف "سويسر" ( f.sousure ) اللسان بوصفه " نسقا من العلامات"<sup>2</sup> وذلك يعني بأن كل علامة تختص بعلاقات نقيمتها مع علامات أخرى، تأخذ هذه العلاقات مظهرين:

1. علاقات تركيبية تختزل ضمنها العلامات بموجب تسلسلها داخل خطية الخطاب، ففي قولنا مثلا "علم أحمر" نجد أن العلامة "أحمر" معرفة عبر علاقاتها بالعلامة "علم" التي ترتبط بها دلاليا.

<sup>1</sup> أديت كوزيل عصر البيئوية، تر، جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت 1993، ص411

<sup>2</sup> ماري نوال، غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات تن عبد القادر فهم السيباني (د.د) ط1، سيدي

بلعباس، الجزائر، 2007، ص106

2. علاقات ترابطية تشرف على وصل العلامة بالعلامات التي تقاسمها الخصوصيات نفسها، ففي المثال السابق، يمكن للكلمة "أحمر" أن ترتبط بالكلمات "أزرق" و"أخضر" بوصفها كلمات متضمنة لمعنى اللون، فنقود فرضية ادراك اللسان بوصفه نسقا، الى نتائج منهجية مهمة، حيث يمكن للدراسة اللسانية أن تتجاوز حدود موضوع دراسة العلامات في ذاتها " الى دراسة العلاقات القائمة بين العلامات".

ثمة إذا تقارب مفهوم النسق ومفهوم البنية (فكلامها يستند الى فكرة "العلاقة")، وغالبا ما تأتي على الخاط بينهما.

ان أساس الاختلاف، يمكن في كون المصطلح الأول يشير الى نمط خاص من الموضوعات، الا وهو اللسان (اللسان هو النسق)، بينما يشر الثاني الى خصوصية هذا الموضوع (يمتلك اللسان بنية محددة)<sup>1</sup>

فالنسق يعني في أبسط معانيه العلائقية أو الترابطية أو التساند، وحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض فيمكن القول: أنها تؤلف نسقا ويتكون النسق من مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي يرتبط بعضها ببعض مع وجود متميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر.

كما يعرف "نعمان بوقرة" النسق بأنه " مايتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، الا أن لهذه الحركة نظاما معيناً يمكن ملاحظته وكشفه كأن نقول: ان هذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص107

<sup>2</sup> نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، يوم الخميس 19

مما سبق نستنتج أن "نعمات بوقرة" يرى أن النسق مرتبط بالكيفية التي تتوالى فيها الأفعال في خطية واحدة في نص معين مثل: الرواية بينما ربطه اللساني "دي سوسير" بعلاقات تقيّمها مع علاقات أخرى وتكون هذه العلاقة تركيبية أو ترابطية.

## 2. مفهوم المضمّر

**لغة:** ومن أهم ما جاء به معجم لسان العرب حول المفهوم اللغوي لهذا المصطلح بالتحديد في مادة ضمّر "أضمرت الشيء أخفيته وهو مضمّر وضمّر كأنه اعتقد مصدراً على الحذف الزيادة مخفي... وأضمرته أرض غيبته إما بموت أو سفر"<sup>1</sup>

\_ وأيضاً جاء في معجم مقاييس اللغة: بأن "ضمّر الضاد الميم والراء، أصلان صحيحان أحدهما يدل على دقة في الشيء والأخر يدل على غيبة وتستر"<sup>2</sup>

- كما ورد في لسان العرب "تضمّر وجهه انضمت جلده من الهزال والضمير: السر وداخل خاطر والجمع الضمائر والضمير والشيء الذي تضمّره في قلبك تقول: أضمرت في نفسي بشيئاً واسم الضمير راجع الضمائر والمضمّر: الموضع والمفعول"<sup>3</sup>

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن مصطلح المضمّر يدل على الاخفاء والغياب، السفر والسر.

**اصطلاحاً:** إذا أردنا أن نصل إلى المفهوم الإصلاحي للمضمّر فأول ما تلجأ إليه في هذا

المجال هو كتاب المضمّر "أوريكيوني"

"كاترين كيريرات" فنجد أنها قسمت محتويات الخطاب إلى:<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ، فصل الضاد المعجمية، ج4، ص 492

<sup>2</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار فكر بيروت، لبنان، 1979م، ج5، ص420

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، ص491

<sup>4</sup> أستاذة في علوم الكلام في جامعة لومبيسير-ليون-

"محتويات بينية: أي أنها مبدئياً الموضوع الحقيقي

محتويات مضمرة: أي أنها لا تشكل مبدئياً الموضوع الحقيقي للقول بل لفعل بالتدليس بفضل

المحتويات البينية"<sup>1</sup>

يظهر لنا من خلال هذا أن الكلام كله يتشكل بمحتويين محتوى ظاهر ومحتوى خفي فليس

هذا من الضروري أننا نقصد المعنى الواضح فقط، وإنما يكون يقصد شيئاً آخر واتخذنا ذلك القالب

اللغوي كقناع للمراد الحقيقي، حيث يذهب البعض الى القول "أن المتكلم لا يقصد أبدا ما يقوله حرفياً

على ذلك القالب اللغوي كقناع للمراد الحقيقي، حيث يذهب البعض الى القول "أن المتكلم لا يقصد

ابدا ما يقوله حرفياً على ذلك : اذا أدلى شخص ما بالقول التالي "الحر شديد هنا" فهذا لا يعني أن

المتكلم يقصد أن يقول حرفياً "إن الجو حار" بل يمكن أن يرمي من ورائه الى القول ما يلي: "افتح

النافذة أو أطفئ جهاز التدفئة".<sup>2</sup>

فليس ذلك القالب اللغوي المقدم على شكل الخطاب هو إنما يعبر عما نريده "إن الخطاب

الجمالي يختبئ من تحت شيء آخر غير الجمالية وليست الجمالية الا أداة تسويق وتميرير لهذا

المخبوء وتحتك ما هو جميل هناك شيء نسقي مضمّر"<sup>3</sup>

كما حددت "كاترين كيربرات اوريكويوني" بعض المضمنات التي تحمل في طياتها معان مضمرة

تعكس المعنى الظاهر وهي:<sup>4</sup>

<sup>1</sup> كاترين كيربرات-أوريكويوني، المضمّر ترجمة ريتاخطر، المنظمة العربية للترجمة بيروت 2008م، ص179

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص20

<sup>3</sup> عبد الله محمد الغدامي وعبد البني اصطيف، نقد ثقافي أم أدبي، دار الفكر دمشق دار الفكر المعاصر بيروت

ط1، سنة 2004م ص30

<sup>4</sup> كاترين كيربرات، أوريكويوني، المضمّر، ص182.

أ. **الاستعارة:** وترتكز على علاقة تماثل بين العرضين اللذين يطابقان مع المقصودين المعنين حيث يتقاطع هذان المفهومان كونهما يشترطان بعض الخصائص المشتركة والتي تتبع التبديل الاستعاري

ب. **المجاز المرسل:** الذي يرتكز على العلاقة تجاوز قائمة بين الفرضين المتطابقين مع المقصودين المرتبطين بالدال المستعر بيانياً.

ج. **الكناية:** وترتكز على علاقة استعمال غرض في غرض آخر في حالة استعمال الكل للدلالة على الجزء والعكس بالعكس أو اشتغال طبقة تعيينية في طبقة أخرى مما يؤدي الى اشتغال عكسي المفعم في مفهم آخر.

د. **الإغراق:** أي أن المعنى المشتق هو أقوى من المعنى الحرفي، كما هو في المثل التالي " لا أكرهك البتة" والمقصود منه "أحبك" فالمعنى المشتق هو المعنى المضمّر أي الحقيقي "أحبك" والمعنى الحرفي هو لا أكرهك.

هـ. **الغلو:** أي المعنى المشتق هو أضعف من المعنى الحرفي.

مثلاً: "أمقتك" للدلالة على الكره.

كما حددت أيضاً كفاءات يجب أن تتوفر في الشخص الذي يريد أن يؤول قولاً. أكانت بعد المسألة تتعلق بتأويل محتواه البين أم المضمّر. وهي من أهم هذه الكلمات.

## 1.2 الكفاءة الألسنية اللغوية: تعني هذه الكفاءة بالعناصر الدالة النصية والسياقية

الحالية النصية فضلاً عن الهامشية النصية، تملك وحدة سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، ركيزة دالة أياً تكن وتطعم المحتويات البينة بالمحتويات المضمرة ان جاز التعبير، حتى تلك التي يتعذر

ترسيخها الا على نحو غير مباشر، بحيث يستلزم التعرف على الثانية أن يصار على تحديد الأولى، فمن المستحيل أن تقع على وحدة محتوى لا يستوجب فك ترميزها تدخل الكفاءة الألسنية اللغوية

## 2.2. الكفاءة الموسوعية: إذا كانت الكفاءة الألسنية اللغوية تسمح باستخراج المعلومات

الضمتعبيرية أدائية (التي يشتمل عليها النص والسياق الحالي للنص)، فإن الكفاءة الموسوعية تمثل باعتبارها خزاناً يضم معلومات خارجية تعبيرية أدائية تتناول السياق، أو باعتبارها مجموعة معارف ومكتسبات. "ولهذه الكفاءة تأثيرها على مختلف الأصعدة، فهي تدخل أصلاً في عملية فك ترميز المحتويات البينة، ولكنها تتدخل على نحو جلي ومكثف أكثر بكثير في عملية فك ترميز المحتويات المضمرة، فغالبا ما يعني اللجوء، بغية فك شيفرة المضمن أو التلميح الى معرفة خارجية قولية خاصة، وان كفاءة القارئ الموسوعية كفيلا بتولي هذا الأمر"<sup>1</sup>

## 3.2. الكفاءة المنطقية: مثلا هذا القول "جاء فلان لزيارتي، إنه في مأزق" قد تعبر أن هذا

المثل ينجز ظاهريا وبشكل غير ناجز البنية القياسية الأتية:

أ. الحد الأكبر: لا يزورني فلان الى حين يكون في مأزق (أي عن مصلحة)

ب. المقدمة الصغرى: والحال أنه أتى لزيارتي.

وما يمكن استخلاصه من هذا هو أن المتكلم حين يريد أن يوصل فكرة ما، فهو يعتمد على طريقتين: إما المباشرة والتصريح بهذه الفكرة واما بطريقة غير مباشرة: وهي أن يوصل فكرة ما، فهو يعتمد على طريقتين: إما المباشرة والتصريح بهذه الفكرة واما بطريقة غير مباشرة: وهي أن يضمّر المعنى الحقيقي المراد إيصاله، هذه الطريقة التي تستوجب من المتلقي فك ترميزها الشيفرة، وتأويل النص لمعرفة المعنى الحقيقي الذي يصبو اليه المتكلم.

<sup>1</sup> كترين كيربرات، أوريكوني، المضمّر ص 284.290

## 3. خصائص النسق المضمّر:

طرح "الغذامي" بعض الأسئلة، وذلك لتحديد السمات والمميزات التي يتميز بها النسق عن غيره نذكرها :

- ما النسق الثقافي ؟....

- وكيف نقرؤه ؟....

- وكيف نميزه عن سائر الأنساق ؟....

وللإجابة على هذه الأسئلة يؤكد أن مفهوم النسق

- من منظور النقد الثقافي - يكتسب قيمة دلالية وسمات اصطلاحية خاصة، نلخصها فيما

يلي:

1. >> يتحدد النسق عبر وظيفته .... والوظيفة النسقية لا تحدث الا في وضع محدد

ومفيد<sup>1</sup>. وهذا لا يتحقق الا عندما تتوفر شروط النسق السابقة الذكر، أي >> حينما يتعارض

نسقات أو نظامان من أنظمة الخطاب ... ويشترط في النص أن يكون جماليا، وأن يكون

جماهيريا<sup>2</sup> يسعى النقد الثقافي الى كشف خبايا ومضمرات الثقافة التي تمررها من خلال أنساق

هذه المضمرات في أبرز المشاريع في النقد الثقافي

2. وذلك يستوجب >> أن تقرأ النصوص والأنساق التي صفتها قراءة خاصة، قراءة من وجهة

النقد الثقافي<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الناشر المركز الثقافي العربي في الأنساق

الثقافية العربية، الناشر المركز الثقافي العربي المملكة المغربية، الدار البيضاء، الشارع الملكي (الأحباس) ط3،

2005 ص77

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص77

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص79

3. وهذه الدلالة المضمرة ليست من صنع المؤلف >> ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفاتها الثقافية، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمش مع المسود<<<sup>1</sup>.

4. في هذه الحالة يكون النسق >> ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة متقنة، ولذا فهو خفي ومضمّر وقادر على الإختفاء دائما<<<sup>2</sup>

لهذا فالنسق المضمّر يأتي دائما خفيا له القدرة على التخفي

وتعتبر البلاغة وجمالياتها أهم الأفعلة التي عبرها" تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت المظلة الوارقة، وتعتبر الحقول والأزمنة فاعلة مؤثر<sup>3</sup> في الوعي الفردي والجمعي الخاص بمجتمعات معينة.

5. هذه الأنساق الثقافية >>انساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما<<<sup>4</sup> وما يؤكد على

هذا الطرح هو >>اندفاع الجمهور الى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمّر<<<sup>5</sup>

وتعتبر القراءة الثقافية هي الوسيلة المثلى لكشف هذه الأنساق الثقافية التي ظلت مضمرة

ومتخفية من وراء الخطابات المختلفة.

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الناشر المركز الثقافي العربي في الأنساق الثقافية العربية، الناشر المركز الثقافي العربي المملكة المغربية، الدار البيضاء، الشارع الملكي (الأحباس) ط3،

2005 ص79

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص79

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص79

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص79

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص79

## 4. شروط النسق المضمّر

حدد عبد الله الغدّامي شروطا للنسق المضمّر وهي كالاتي :

1. وجود نسقين يحدثان معا وفي آن واحد، وفي نص واحد، أو فيما هو حكم النص الواحد
  2. يكون أحدهما مضمّر والأخر علني، ويكون المضمّر نقيضا وناسخا للمعلن فمجال النقد الثقافي هو كشف الأنساق المضمّرة الناسخة للعلني.
  3. لا بد أن يكون النص ذا قبول جماهيري، ويحظى بمقروئية عريضة وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي.<sup>1</sup>
- يمكن أن نقول أن النسق المضمّر هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النقد الثقافي، ويبني عليها أدواته الإجرائية

## 5. سياق الرواية المضمّر

تعود الرواية من أهم الأجناس الأدبية في واقعنا المعاصر، لهذا لا بد من أن تؤديّ مهارة المؤلف أو الروائي دورا بارزا في إنتاج النصّ، ولعلّ النهضة العلميّة العالميّة والتّلاقي الحضاري والثقافي والمعرفي بين الشعوب دفع إلى أهميّة امتلاك المثقّف آليات وتقنيات تمنحه فرص العالميّة كمفوّض وكصوت يعبر عن ثقافة الوطن والمجتمع الذي ينتمي إليه.

أن التحوّلات التّقنية التي طرأت على البنية السردية والمتون الروائية وفق التّقنيات الحديثة منحها تميّزا من بين الأجناس الأدبيّة الأخرى، وهي تحوّل ناتجة عن تفاعلات أخذت مدها الزمّني، منذ أن عرفت الرواية، ولذلك نسمع كثيرا عن التّطور الزمني للرواية، والتي مرت بمراحل كالرواية

<sup>1</sup> عبد الله الغدّامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، طبعة 1، 2004، صفحة 32

القديمة والرواية الكلاسيكية والرواية الحديثة والرواية الجديدة ورواية الحداثة ورواية ما بعد الحداثة، وهذا يعني ديناميكية الرواية، وتطورها وقدرتها على التكيف.

ففي أوروبا وبالتحديد في القرن العشرين تغيّرت أحوال المجتمع الأوروبي بعد الحرب العالمية الأولى، وفقد الكاتب ثقته بمؤسسات مجتمعه التي كانت تفرض هيمنتها على الفرد. ونتيجة لذلك استقلّ الكاتب عن المجتمع وأصبحت له هوية مستقلة مكوناتها فنّيّة لا قيمة وعادات وتقاليده ورغبات المجتمع بشكل عام،<sup>1</sup> وهذه معان ودلالات تعكس حالة الحراك الروائي وتطوره واستقلاليته كاتب الرواية في ذات الوقت، الذي يتمرد في لحظة من اللحظات في حال نقول: "إن البيئة العميقة وإن لم تكن ظاهرة في الكلام إلى حدّ كبير، أساسيته لتفهمه إعطاؤه التفسير الدلالي"<sup>2</sup> أي أنّ الحقيقة حاضرة في ذهن المتكلم ضمناً، وهو ما يجب على المتلقي أيضاً، استحضاره وكأنّ البنيتين السطحية والعميقة وجهان لعملة واحدة.

كما أنه من المفيد الإشارة إلى أن الأثر النفسي الذي يحدثه التحفيز والاستفزاز بسبب إظهار المعنى لدفع الفكر إلى الاشتغال، يعدّ إضافة نوعيّة للنصّ وبنية السردية على المستويين الفكري والجمالي لأنّ توارث المعنى يشكّل استفزازاً للذهن من أجل بلوغ المخفي الذي لا يتوقّف في حال الدلالة الواضحة "وعليه فإن الأثر النفسي الناجم عن إدراك الدلالة الساخرة أو البالغة بوضوح".<sup>3</sup>

وهي الرؤية التي تتفق ورؤية ديفيد بينسون david bateson الذي يطلق على الحد الفاصل بين المعنى السطحي والمعنى العميق اسم "الفجوة المعنوية" ويعدها معياراً لجمال العبارة التي تحضر

<sup>1</sup> خليل إبراهيم بنية النصّ الروائي دراسته ص275

<sup>2</sup> رشيد، هدى صلاح، تأصيل التطريبات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب الرباط، دار الأمانة ، الطبعة 1، 2015، ص318

<sup>3</sup> حسين مسلم حسب، الشعرية العربية أصولها ومفاهيمها واتجاهاتها العرق، البصيرة دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2003، ص358

كلما اتسعت "الفجوة الدلالية" التي يعدها المسافة الضبابية التي ينبغي على الفكر اجتيازها بانتقاله من الشكل اللغوي إلى المحتوى الدلالي الكامن والمسافة الضبابية هي الغموض أو السطر الأسلوبي الذي يستخلص وراء المعنى الجمالي والذي يسعى الفكر إلى أماطته في سبيل بلوغ المعنى، وهذا هو مبعث شعور النفس بالاهتزاز والارباحية.<sup>1</sup>

بعد هذه الإشارة الشرعية للبنيتين السطحية والعميقة وما يمثّله يمكننا اللجوء إلى نماذج مما تضمّنته الرواية الفطرية للتمثيل للبنية السطحية والبنية العميقة والبرهنة على حضورهما.

بحث عن معنى مباشر، وثابت في النص هو ذلك المعنى الذي رمى إليه المؤلف، ومن جهة أخرى لا تقتصر قراءة الرواية على تلقي الجانب المعرفي من النص، وإنما تشتمل أيضا الاستمتاع، والتلذذ بقراءة السرد، والاندماج بما فيه بما فيه عوالم مختلفة<sup>2</sup> الحديث عن قارئ الناقد، وقارئ يمتلك قدرة على تقييم النص الأدبي، وتلمس سياقاً له، ودلالاته قارئ متأمل، لديه القدرة على فرز معاني النص وصوره وجماليته، سواء على مستوى العناصر المكونة للبنية السردية التي تعبر عن واقع النص وأهدافه، وتشكيله الظاهري، وسياقه، وقدرة الروائي على توظيف أدواته من جانب، أو من جانب آخر، ما يتعلق بجماليات النص والتذوق الفني الذي يتجاوز حدود السطح إلى العمق، ويتجاوز حدود الجمال الظاهري إلى الجمال الخفي وإدراك مراوغة النص والتعاطي مع هذه المراوغة بمثلها أو أبرع منها.

أي قراءة تأملية دقيقة لا تكتفي بالنظر الأفقي السطحي، الذي يقتصر على متابعة الأحداث، وتتبع الزمن، والتعارف إلى الشخصيات بل ينبغي أن تكون القراءة متركزة على التحديق إلى الزوايا الظليلة، والبقع المعتمدة من المبنى الحكائي ومعرفة ما لم يقل عن طريق ما يقال.

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 358

<sup>2</sup> خليل إبراهيم، بنية النص الروائي دراسة ص 273.

من باب الإيحاء، والتلميح، وهذا بطبيعة الحال ينقل القارئ من قارئ متقبل فحسب، إلى قارئ منتج، على أساس أن النص الروائي بما يجيل إليه من مرجعيات مختلفة ومتعددة نص مفتوح على احتمالات عدة

أن اللغة الخاصة بالسرد، والتي كثيرا ما تتخلص لأسباب نذكر بعضها، متعلقة بظروف ما اللغة تتطلب الإضمار، وأخرى مرتبطة بالإنتاج الجمالي والدلالي، لذلك لا بد من الحديث عن البيئة التركيبية (السطحية والعميقة) التي بزغ فيها تشومسكي.

العالم اللغوي الأمريكي، الذي اعتنى بالجملة من حيث علاقتها بالمعنى وتحقيقها على وجهين، سطحي خارجي ظاهر، وتحتي باطني عميق

فالبنية السطحية تعني الجمل المنطوقة بالسلسلة الصوتية المتتابعة في لسان المتكلم، أما البنية العميقة فتعني البنى الأساسية التي يمكن تحويلها إلى جمل، وهي القواعد والضوابط للغة المنطوقة، أي أن البنية العميقة تمثل الحركات النفسية والفكرية والجسدية وهي القوة المحركة والقادرة على توليد ما لا حصر له من الجمل.

كما أنه من المفيد الإشارة إلى الأثر النفسي الذي يحدثه التحفيز والاستفزاز بسبب إضمار المعنى للدفع الفكري إلى الاشتغال وهذا يعد أضافه نوعية للنص وبنيته السردية على المستويين الفكري والجمالي.

## الفصل الثاني

تجليات النسق المضمّر في رواية ابن الفقير

## النسق الثقافي

### 1. اللغة:

#### 1.1 اللغة الشعرية:

ز. المجاز

ح. التكرار

ط. الوصف

#### 2. صورة المرأة:

1.2. زوجة عمه

2.2. الجدة

#### 3. المباني المختلفة

أ. ديكور البيوت القبائلية

#### 4. العادات والتقاليد

أ. عادات الزواج

ب. عادات الجنائز (الحنن)

نحاول في هذا الفصل القاء الضوء على مختلف الأنساق الثقافية في رواية -ابن الفقير لمولود فرعون- أحد الروائيين الجزائريين حيث نشير الى أن الرواية الجزائرية خطت خطوة كبيرة نحو النضج الفني، حيث استطاعت في فترة وجيزة أن تتجاوز الصعوبات التي واجهتها في مرحلة كتابة هذه الرواية، حيث تمكنت من رصد مجموعة من الأنساق الجمالية المضمرة المتخفية في احداث وشخصيات الرواية وعند اطلاعنا على بعض الروايات الجزائرية لفت انتباهنا رواية "ابن الفقير"، تحمل في طياتها العديد من الأنساق الثقافية، السياسية، الاجتماعية التي لم يسبق للدارس أن خاض فيها، لذا أردنا أن تكون موضوع دراستنا وذلك باستخراج الأنساق المضمرة على الرواية.

حيث سنسعى لتقصي هذه الأنساق وتحليلها.

### • النسق الثقافي

النسق الثقافي مجموعة من القيم المتوازية خلف النصوص والخطابات ولهذا فان أهمية النقد الثقافي تكمن في الكشف عن حمولات كثيرة ومتعددة ومركبة من عناصر إيجابية وسلبية.

فالنص الابداعي يحيل الى نسق وسياق وبين النسق والسياق هناك علاقة جدلية تفاعلية فالنسق متصل بالشكل عبر التراكم التاريخي لمنظومة الأفكار والعلامات وهذا التشكيل يحدث خلال السياقات وهذه السياقات تكون متصلة بأنساق قيمية وثقافية، " والنسق المضمّر لا يكون وعيا يتمظهر عبر خطاب فاعل ولغة توظّر خطاب الفاعل أيضا، بل هو ممارسة لها خصوصيتها من التغلغل والتأثير والهيمنة في غفلة من الذات"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، طبعة 1 2009 صفحة 87

وهذا يعني أن الأنساق المضمّرة تكون في لا وعي المبدع فهي متغلّغة في ثقافته وذهنه لذلك عندما يكتب المبدع نصا ابداعيا لا يشعر أثناء الكتابة بهيمنة هذه الأنساق، فهي متشكّلة في لا وعيه في غفلة من الذات المبدعة "وتظل الأنساق الثقافية تمارس فاعليتها على نحو ما في المبدع"<sup>1</sup> ولأن النسق الثقافي مرتبط بلا وعي العقل البشري وكونيته " فلا يحتم علينا ذلك اغفال حركيته وتحولاته وانتظامه الداخلي فهو لا يفقد أساسه الجوهرى ولكنه يمتلك مرونة التحولات ويستجيب لمقتضى المتغيرات معها دون أن يتلاشى جوهره"<sup>2</sup>

ذلك يعني أن النسق الثقافي المضمّر متغير وغير ثابت فهو يمتلك خاصية التحول وفقا لمتغيرات، ويتكيف مع هذه المتغيرات، دون أن يتغير جوهره ودراسة الأنساق اللغوية داخل النصوص (نصوص الثقافية) مهمة جدا، لا دراك الأنساق الثقافية الظاهر منها والمضمّر "إذ أن الاهتمام بدراسة الأنساق اللغوية داخل الثقافة يمنح الثقافة معناها الجوهرى لا المعنى الظاهر المزيف، ولأن النسق اللغوي داخل الثقافة لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه ايدىولوجى ولأنه وحده الذى يؤسس لاتصال الجمعي ويؤطر لنظام الخطاب داخل الثقافة فوحدها اذن المقاربة اللغوية الثقافية تسمح بفهم أعمق الأنساق اللغوية، بماهيتها المزيفة المعلنة وبادىولوجيتها الحقيقية المضمّرة"<sup>3</sup>

ولهذا يتطلب النسق الثقافي المضمّر نوعا خاصا من القراءة وهذه القراءة يمكن أن نسميها القراءة الثقافية ويكون لاحتمالات وعي القارئ بالثقافة وامتدادها داخل النص الأدبي دورا مهما في تأويل المعنى لأن هذا الوعي الثقافى للقارئ كما يرى الدكتور عبد الفتاح أحمد يوسف، هو الذى يمكننا من تأويل العلاقة بين دور العنصر داخل الثقافة ووظيفته داخل النص الأدبي، لأن انتقال

<sup>1</sup> المرجع نفسه صفحة 5

<sup>2</sup> عبد الفتاح يوسف، القراءة النسقية (سلطة البنية وهم المحادثة) منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1،

2003 ص122

<sup>3</sup> عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، صفحة 91.92

العنصر الثقافي من حقله الثقافي الى النص الأدبي يجعله يحمل دلالتان مزدوجتان، دلالة داخل الثقافة ودلالته داخل النص الأدبي.

يمكن القول ان النسق المضمّر ركيزة من ركائز النقد الثقافي.

### • الأنساق الثقافية:

#### 1. اللغة / الكتابة وعي المستقبل

تعتبر اللغة من أهم الأنساق الثقافية، لأنها تعتبر الوعاء الذي يحتوي على جميع الأنماط الثقافية وسماتها فكل ما يكتسبه الفرد و يتعلمه من الأنماط يصل عقله ووجدانه من خلال اللغة، كما تعتبر الوسيط بين الأفراد والثقافة، ودورها في المجتمع لم يقتصر على اعتبارها أداة اتصال بين أفرادها فقط بل انها أصبحت تمثل جزء أو عنصرا هاما من عناصر الثقافة، وأن فهمها فهما جيدا يتوقف على فهم أنماط الثقافة السائدة في المجتمع، فدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا يعني شيئا أكثر من أن اللغة لها أساس ثقافي وأنه لا يمكن تحديد مفردات اللغة ودلالاتها تحديد دقيقا الا بمعرفة البنية الثقافية لهذه المفردات"<sup>1</sup>

" كما تعد اللغة من أبرز مكونات الخطاب الروائي، فهي اللبوس الذي تخرج فيه بقية مكوناته الى الملتقي، اذ تشكل اللغة معلما بارزا ومهما في حداثة الرواية العربية بل انها العمود الفقري لذلك التحول من الرواية العربية التقليدية الى الرواية العربية الجديدة."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد الرحمان عبد الدايم، النسق الثقافي في الكناية، مخطط رسالة ماجستير، اشراف بوجمعة شتوان، جامعة

مولود معمري تيزي وزو 2011، ص18

<sup>2</sup> ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية 1970 – 2000، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

ط1، بيروت لبنان 2014 ص07

وتتميز اللغة في رواية " ابن الفقير " بميزة كثرت في الآونة الأخيرة عن أغلب الكتاب والروائيين وهي " التعدد اللغوي " إذ يوظف الكاتب في الرواية عدة لغات وعدة خطابات، ونحن بصدد دراستنا للرواية وقفنا عن أهم الأشكال اللغوية وهي:

### 1.1. اللغة الشعرية:

" يقصد باللغة الشعرية هي تلك اللغة الرقيقة، ذات العبارات الرشيقة والألفاظ العذبة التي يشعر قارئها ببوح نفسي عميق، يتدفق من أعماق الكاتب كأنه يروي هواجس يحسها حتى النخاع، وهذا البوح مستمر متصل من غير انقطاع، رغم تقاطع الأزمان وامحاء المكان، وان وجود هذه الوحدة وهذا الترابط العضوي بين أجزاء القصة وعناصرها، يضيف عليها نوعاً من ألوان التناغم لا نجده إلا في الشعر"<sup>1</sup>

وهو ما لا حظناه في رواية "ابن الفقير" فهي ذات لغة مفعمة بالحركة والتركيز ذات عبارات رفيعة عذبة ملائمة لموضوعها.

وتظهر شاعرية اللغة في العديد من زوايا الرواية فيشير الكاتب في قوله " امرأة شديدة قاسية وصريحة ذات عينين متوقدين وصوت جهوري، ويدين رشيقتين، وهيئة سنورية "<sup>2</sup> ويقول أيضاً " لازلت للحين أتذكر صوت حليلة ونظرتها الشرزاء"<sup>3</sup>

وطبيعي ألا يعبر عن هذه المشاعر والتصريحات المختلفة في اللغة العادية المختلفة بل يحتاج

إلى لغة شاعرية تحمل دلالات إيحائية لشحن المتلقي بدفقات الشعور"

<sup>1</sup> ينظر: صبيحة عودة زغرب، غسان كنفاني جمليات السرد في الخطاب الروائي، دار لاوي للنشر والتوزيع ط1-

عمان، 1429هـ 2006م ص173

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص25

<sup>3</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص34

"فاللغة الشعرية هي التي يعبر المؤلف من خلالها عن طاقة شعرية كامنة وقدرة في التعبير فائقة، يحسن استغلالها في المواقف المناسبة، والوضع الأنسب دون أن يخل ذلك بالخطاب الروائي وخصوصياته متوخيا بذلك تحطيم الحواجز الوهمية التي تفصل بين الأجناس التعبيرية"<sup>1</sup>

كما تتجلى اللغة الشعرية في المواقف التي يعبر بها الكاتب عن مشكلات شخصياته ومن نماذج ذلك ما يلي:

حيث يقول منراد " عندما أتوغل في أعماق ذاتي، وأتأمل وضعيتي مقارنة بقيمتي، أستخلص بمرارة: أنني متضرر، فنقص الوسائل يمثل عقبة مأكرة جدا، ومع ذلك فحصيلتي لا تتوقف عند هذا الحد"<sup>2</sup>

ويشير في قوله " لم يتأخر منراد في التغلب على عقدة النقص التي أفقدته كل امكانياته الى رفاقه لم يكونوا متفوقين فقرر الانطلاق في العمل"<sup>3</sup> حيث يولد الولد القبائلي في هذه المنطقة من أجل الخضوع لمعركة الحياة وهي معركة قاسية وطويلة للغاية

لقد كان المجتمع القبائلي يهتم بالفلاحة والحرف التقليدية لكونها منطقة ريفية وهم يورثون أبنائهم حرفهم وكل ما تعلموه من أسلافهم لكن فورولو رسم لنفسه طريقا مختلفا تماما على ما هو سائد وهذا ما جعله يصدّم بواقع مؤلم حيث أنه لا أحد في تلك القرية ولا حتى أهله كانوا يؤمنون بما يفكر فيه وقد أشار الكاتب الى ذلك في قوله: "لا أحد غيره كان يؤمن بمشروعه ولا حتى والداه اللذان كانا لا يكفیان عن لامبالاتها وعدم الاهتمام بمشاريعه المدرسية"<sup>4</sup> ومن خلال هذه النماذج نلاحظ أن

<sup>1</sup> المويقن مصطفى، تشكل المكونات الروائية، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع ط1 اللاذقية، سوريا، 2001

ص210

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص11

<sup>3</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص168

<sup>4</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص06

الكاتب استخدم أسلوباً إبداعياً في التعبير عما يلج في نفسه، فهو طريقة تعبير فني، تعتمد على مخاطبة المشاعر ومناجاة الأحاسيس بصورة عميقة، وخيال واسع، وعاطفة متدفقة فهو يقدم الأفكار بكلمات مؤثرة.

كما تتجلى شعرية اللغة أيضاً من خلال توظيف الكاتب للوصف والمجاز والتشبيه والتكرار، فهذه هي آليات اللغة الشعرية ومن نماذجها ما يلي:

أ. **المجاز:** كقول الكاتب: "أخذت الطبيعة ترعد وتمطر، أخذت الأمطار تفرقع بشدة فوق

السطوح، والرياح تغني أغنية حزينة في الأزقة الطويلة، تتسرب بين شقق الأبواب"<sup>1</sup>

وفي قول آخر: "حدقت فيّ بعينين غريبتين، بعينين متقلبتي يرفضان معرفتي، يشعان بين الفينة

ببصيص وينطقان فجأة يلفهما حائل غير متوقع .... يسلط الضوء علي ويخترقني"<sup>2</sup>

من خلال هذه المقاطع من الأقوال تتضح شعرية الكاتب وبراعته في حسن اختياره للألفاظ

المعبرة والموحية ففي قوله "يبلغ غضبه"<sup>3</sup> تظهر صورة بلاغية يوحي بقيمة الغضب والمرارة التي

ألمت به.

ب. **التكرار:** في قول الكاتب الذي يشير إلى زوجه عم فورولو في قولها لبناتها "إنه ليس

أخوكن، وليس لكنّ أخ"<sup>4</sup> وفي إشارة أخرى للكاتب "أخي ليحفظه الله لك هو الذي أكل قطعتي من

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقيّر، دار تلا تنيفيت، ترجمة جديدة، د، عبد الرزاق عبيد صفحة 95

<sup>2</sup> بتصرف المصدر نفسه ص 89

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص 113

<sup>4</sup> مولود فرعون، ابن الفقيّر، ص 29

اللحم - أخي ليحفظه الله لك مرقّ منديلي"<sup>1</sup> وقول آخر لفرولو " نسمح ونحن نعلم بأننا سنسمح  
وسنسمح وسنسمح"<sup>2</sup>

وظفّ الكاتب في هذه المقاطع نوعا من التكرار اللفظي والغرض الفني منه يتمثل في التعبير عن  
رغبته الشخصية عن مشاعرها و اعترافها والإصرار القوي عليه.

حيث نلاحظ كمية الاعتراف الذي يصوغنا الى فهم إحساس ومشاعر كل شخصية.

ج. **الوصف:** ومن أمثلة قول الكاتب "كان وجهها ممتدا ناتئ العظام ووجنتاها حمروان،

مظهرها مظهر عنزة متقلبة المزاج تجملها عينان سوداوان واسعتان وفروة شعر جذابة لا تطاوعها

وهي تستقرّ تحت منديلها والتي كثيرا ما نقلت منها في شكل خصلات شاردة على كتفيها"<sup>3</sup>

وفي إشارة أخرى للكاتب قوله " فإن جدتي في الواقع هي التي تعيل العائلة، فهي شبيهة بالدجاجة

الرووم التي توزع الحب على صيصانها"<sup>4</sup>

مثال آخر في قوله "كان رمضان أسمر البشرة، قويّ الجسم مدكوك مقارنة بأخيه، إنّه كنموذج

للقرويّ القبائلي بفتلات عضلاته وكثرة عقده، أما وجهه.... جبهة عريضة، وأنف خانس وشفتان

رقيقتان، وخذان عريضان"<sup>5</sup>

يصف الكاتب في هذه المقاطع شخصية خالة فرولو وجدته ووالده رمضان ويعطي لكل

شخصية صورة طبيعية، وهذا تشبيه تمثيلي تلتقي فيه صورتان تكشف لغة الكاتب الإيحائية تناسب

لغته الشعرية انسيابا بإنتقاء الألفاظ المعبرة الموحية

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 29

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 47

<sup>3</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 45

<sup>4</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 26

<sup>5</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 21

## 2. صورة المرأة:

قدم لنا مولود فرعون في روايته " ابن الفقير" أوجها مختلفة للمرأة، ونماذج نسائية متعددة منها، الأم، الجدّة، الأخت، ابنة العمّة، الخالة، مما جعل المرأة تلعب دورا هاما في سير الأحداث، وتشكيل الرابط السردى داخل العمل الروائى بما أضفت عليه شخصيتها من أبعاد نفسية اجتماعية وإنسانية، وبما تطرحه من قضايا مصيرية تتعلق بنصف المجتمع، وهذا ما جعلنا ننظر اليها باعتبارها نسقا ثقافيا يجب تسليط الضوء عليه ومن صورة المرأة في الرواية نذكر:

## 1.2. المرأة الذاكرة، الحبّ :

## 1- حليلة: (زوجة العمّ)

مما نلاحظه في رواية "ابن الفقير" أن زوجة العمّ لونييس لفورولو ترمز لليؤس، فهي نموذج المرأة الجزائرية التي أفسد الفقر طباعها وأخلاقها، فهي إنسانة أنانية وحسودة و مبعضة للغير، من ذلك إنّها كانت على عداوة مع فاطمة وكانت تكره فورولو لأنّها لم ترزق بصبيّ، يصفها فورولو فيقول:

"ومازلت أسمع صوت حليلة، وألاحظ نظراتها الشريرة ففهمت كراهيتها"<sup>1</sup> وهي كذلك سارقة محترفة وكثيرا ما كانت تسرق حبّات الزيتون المترامية في بساتين الجبران، كما كانت سببا للفتنة بين رمضان ولونييس، حيث أقدمت على سرقة مئونة العائلة ما عجل بانفصالها عن بعضها البعض، واقتسام أملاكها بعد المحبة الكبيرة التي كانت بينهما، وهذا ما جعلها نسقا مضمرًا يتخفى داخل طباعها الشرزاء والأنانية المنبعثة منها.

<sup>1</sup> ابن الفقير، مولود فرعون ص36

## 2- الجدة تسعديت: ترمز تسعديت الى تلك المرأة الحكيمة والرّزينة، التي تقوم بتدبير شؤون

البيت، إخفاء المئونة واقسامها، فورولو " جدتي كانت تشرف على المؤن وهي الوحيدة التي تفتح وتغلق الإيكوفان"<sup>1</sup>، فهي بمثابة الرأس المدبر في العائلة، وهي سبب توحيد الأسرة لأنها كانت تحكم بالعدل، ولذلك كانت محبوبة من طرف الجميع، وكانت تستشار في الأمور كلها، فالجدة تسعديت كانت بمثابة الدجاجة الرؤم التي تقوم بإطعام عائلتها، كما عرفت بحبها الشديد لأم فورولو "فاطمة" ومنراد فقد كانت تهتم به وتخبئ له النصيب الأفضل للأكل وهذا ما جعل زوجة عمّه تمقته بشدة.

## 3- الخالة الكبرى:

خالة فورولو الكبرى تمثل قيمة المعاناة والانهايار العصبي فبعد موت أختها "نانا" أصيبت بالجنون إثر نوبة حزن عميقة، كانت قبل مرضها تسليّ فورولو وتلعب معه، وتقصّ عليه الحكايات، لذلك كان يحبها كثيرا، وهذا ما نلاحظه من خلال التغيير الجذري في شخصية الخالة وتقمصها للجنون بسبب الحزن العميق الذي ينهشها من الداخل وهذا نوع من أنواع الأنساق اللغوية المضمرة.

## 4- الخالة الصغرى "نانا" :

خالة فورولو الصغيرة كانت نساء الحيّ يدعونها يمينة وهي رمز للمرأة الهادئة والرّزينة، والمحبوبة في الحيّ، كانت تصلح ذات البين في حال موضوع الخصومات من ذلك فضّها للنزاعات التي تكون خاليا طرفا فيها مع أحد أبناء عمومة العائلة، وكانت تقول لهم: "لوموا ما شئتم، وعلى فاطمة ولكن اتركوها هي على حالها إنّها ستتوب بعد حين"<sup>2</sup>، لقد كانت نانا لطيفة وصوتها يمتلك

<sup>1</sup> المصدر نفسه ص31

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص

موهبة تهدئة الجيران، لقد عانت "نانا" كثيرا مع المرض أثناء الحمل الذي أدى الى هلاكها ورضيعتها المسكينة هلاكا مأساويا.

وهذا ما جعل من "نانا" تسكن قلوب الجميع من عائلتها الى جيرانها مرونة تصرفاتها وروحها الخفيفة وهذا أيضا نسق لغوي مضمّر لأفعال خالة فورولو الصغرى.

### 3. الاختلاف في البيوت القبائلية:

#### أ. ديكور البيوت القبائلية:

إنّ تصميم المباني والبيوت القبائلية هو تصميم خاص ومميّز فريد من نوعه ولا يشبه أي تصميم آخر حيث أنّه يحكي قصة صمود ونضال ضد أي ثقافة دخيلة، فلم يستطع الاستعمار الفرنسي رغم كل سياسة التأثير في العادات والتقاليد القبائلية فكانت هذه المنطقة حصنا حصينا لم يتمكن هذا الأخير بكل قوته تركيعها ولا حتى التأثير فيها.

فببني زرو هي نقطة جغرافية تربعت على عرش الجمال والحسن كله فيصفها مولود فرعون بأنها " عبارة عن تجمع سكائي من ألفي نسمة تنتزع دورها انتزاعا الواحدة تلو الأخرى على روة ضخمة وكأنّها فقرات وحسن من وحوش ما قبل التاريخ، مئتا مترا طولا، وشارع رئيسي هو عبارة عن مقطع من نهج يربط عددا من القرى وبضفي الى طريق سلطة وبالتالي يقود الى المدن"<sup>1</sup> ويختلف شكل المساكن والمنازل في هذه المنطقة وبتباين، فشكل منازل الأغنياء يختلف عن منازل الفقراء وعن الأماكن الأخرى كالمساجد والمساحات ولكن كلهم يعبرون عن ثقافة واحدة و هي الثقافة القبائلية أو الجزائرية.

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص15.14

فالببوت الأثرياء هي بيوت تترجم رغد عيش أصحابها وحياتهم المرفهة حيث يتشكل منزل الثري من " قطعتين متقابلتين قد تبلغان اثنتي عشر ذراعا عرض على اربع عشر طولاً، منها غرفة أو غرفتين صغيرتين للولد البكر أو للغريب عابر السبيل، جميع المساكن مشيدة بقوالب الصخر المبلور والصلصال المخطوط بالتبن أما السقوف فهي من الأجر المجوف الموضوع على أسرة من القصب، وتكون الأرضية مدكوكة دكا غزيراً ومغطاة بطبقة من الكلس المملس الأصغر الذي يوحى بانطباع النظافة والرشاقة الريفية.... ويحسب بحبوحة العائلة فإن الطلاء يجدد دورياً سنوياً، أو كل شهرين، أو كل ثلاثة أشهر"<sup>1</sup> أما العائلات الفقيرة فكانت بيوتها دون ذلك بكثير فشكلها يوحى بمدى بؤس وشقاء أصحابها نظراً لضيقها وشكلها حيث أن الفقير يكتفي في مسكن بقطعة واحدة ويقسم الفناء الصغير مع الجيران المعدمين أمثاله ويقنسم تجمعات مع الجميع<sup>2</sup>

أما المساكن الأخرى كالمساجد مثلاً فهي تشبه البيوت في تلك المنطقة الى حد العجز في التفريق بينها، لأنها تفقد أهميتها فلا تجد فيها أي ملمح يشير الى الثقافة الإسلامية وفي أغلب الأحيان مانجدها خاوية من الناس وأشار الكاتب الى هذا في قوله " في القرية مسجدان أيضاً، غير أن المسجدين ليس لهما أهمية تجمعات، مظهرها الخارجي يشبه بقية المنازل المجاورة، أمّا من الداخل فإن أرضيتها من الاسمنت وجدرانها مدهونة بالكلس الأبيض، وهما خاويان ومثالان للبساطة"<sup>3</sup>

أمّا اذا أشرنا الى أماكن الترفيه والراحة فإنّما يستوجب علينا أن نذكر الساحة الوحيدة في تلك المنطقة المخصصة لهذه الأمور حيث يجتمع بها الصغار والكبار للهو واللعب وهي ساحة "الموسيقين" كما يسمونها أهل القرية وتشكل هذه الساحة من صفائح عريضة من الكلس يسندها

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 18.17

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 21

<sup>3</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 16

بناء معوّج بارتفاع خمسين سنتمترًا، وقيالته أركان المنازل ذلك ما يشكّل مقاعد " تاجماعت وهي التي يأتي الرجال والأطفال إليها للجلوس....لعبة الدّامة محفورة على الصفائح والتي تلعبها بالحصي"<sup>1</sup>

فالبيوت والمساكن والأماكن العمرانية تعتبر وسيلة لترسيخ ثقافة وحضارة أمّة ما، وتضمن بها احتلال مكانة في تاريخ الأمم اللاحقة كما تضمن لها الخلو وعلى مرّ العصور، وهناك أيضا في تلك القرى في منطقة القبائل نوع من المباني والأماكن لا يخصّ سكّان هذه المنطقة ولا يدل على ثقافتها، بل يعبر عن ثقافة المستعمر الذي استوطن في تلك الفترة فكانت تلك الأماكن عبارة عن " بعض البناءات الواعدة التي شيّدت حديثا بفضل النقود الوافدة من فرنسا، تعرض تلك الدور بعنجهية واجهاتها وقرميدها الأحمر " <sup>2</sup>

حيث تلك المباني لم تكن الوحيدة في تلك المنطقة فهناك عدة تبشريات من بينها تبشيرية " لومبار " التي يصفها الكاتب في قوله أنها " تشغل أرضا مربّعة، مساحتها ستون مترا، يوجد في إحدى زواياها سكن العائلة وعى جانب منها توجد قاعة العبادة وهي قاعة خالية إلا من الكراسي وطاولة سوداء وأرغن كبير وتحل غرف التلاميذ جانبا آخر كاصلا من المربّع ستّة أخرى في الطابق السفلي وهناك مغلقة وحديقة معتنى بها جيدا مع حوض مزلل وعريشان مقعدان عريضان هنا"<sup>3</sup>

اختلفت الثقافة العمرانية في منطقة القبائل فبعضها يخصّها وبينما هو دخيل عليها فقد عانت وصارعت لفترة طويلة من أجل الحفاظ على عاداتها وتقاليدها التي توارثتها منذ القدم

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص16

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص17

<sup>3</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص162

## 4. العادات والتقاليد القبائلية

## أ. عادات الزواج:

إنّ الزواج هو سنّة كونية وفطرة بشريّة، فهو النواة الأولى لحياة الانسان في هذه الأرض كما ورد في قوله سبحانه وتعالى:

" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"<sup>1</sup>

وعادات الزواج وتقاليدته تختلف من بلد الى آخر ومن مجتمع الى آخر كما هو الحال في الجزائر فكل منطقة من المناطق الجزائرية لها ثقافتها في عادات وتقاليد الزواج.

ونخص بالذكر منطقة القبائل التي لها فكر خاص تنفرد به على غرار المناطق الجزائرية الأخرى، حيث لها سمات خاصة تتجلى في انقيادها انقيادا عجيبا لعادات اجتماعية معينة تتضمن قيما خاصّة يتمسك بها هذا المجتمع تمسكا عجيبا لدرجة أنها تأصلت في جذورها ورسّخت في أذهان أهلها التي تميّز ثقافتهم وصارت في جوهر التراث الثقافي القبائلي. والزواج في المجتمع القبائلي مهمة الجماعة كلّها وليس قرانا يخص الزوجين فقط، وإنّما سبيل ووسيلة لتوطيد العلاقات بين المجموعات والعائلات القبائلية، ولذلك نجد في الغالب أن مجتمع القرية ينتمي الى أصل واحد بفضل صلة الدمّ وصلة النسب، كما أشار اليه ملود فرعون في قوله: " لقد أحيينا من آماذ بعيدة زيجات بين (القريبات) بحيث أضحي تاريخ القرية كتاريخ شخص واحد"<sup>2</sup> ويراعى في الزواج أمور أخرى كالأرباح التي يمكن جنيها منه والفوائد التي يحصدها فهو في كثير من الأحيان يأخذ طابع الصفقة التجارية حيث تختار الأمّ والأهل العروس من عائلة متيسرة الحال كما أشار اليه الكاتب في قوله: " إنّ العجوز

<sup>1</sup> سورة الروم الآية 21

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 18.17

هي التي اختارتها، كان والد حليلة صديقا قديما لجديّ وقد كان جنديا في فيلق مدغشقر عاد منها بنصيب من المال، ظننت جدتي أنه غنيّ جدا، وفكرت أنّها وجدت فيه السند القوي<sup>1</sup> فإنه حتى وإن كانت العروس من الأهل والأقارب فإن هذا لا يمنع وستثني التفكير في المصالح فتطلب يدها للزواج من منطلق حسابات كثيرة أي أن المصلحة هي الأساس الذي يحكم العلاقات كما ورد في قول الكاتب: "كانت والدتي من آيت موسي فهي حينئذ ابنة عمّ لآل منراد اختارتها جدّتي أيضا من منطلق حسابات كان جديّ أحمد من جهته والدتي قد ورث لبناته الثلاثة قبل وفاته منزلا صغيرا وحقلا"<sup>2</sup> حيث أن عادات الزواج رمزا يعبر عن ثقافة كل منطقة ويميزها عن غيرها حتى في حدود الوطن الواحد، وبقيت هذه المنطقة محافظة على هذه العادات رغم كلّ التحديات التي واجهتها ورغم التطور الذي طرأ على كلّ الميادين فالزواج أحد الأنساق المضمرة التي تحمل في ثناياها أحد العادات والتقاليد القبائلية.

### ب. عادات الحزن (الجنائز)

رغم أنّ الموت هو أكبر حقيقة موجودة في هذا الكون إلا أنّه دائما ما يصاحبه الحزن والهّم، فهو رديف الألم والأسى ونوع من الفراغ النفسي الذي يستحوذ على قلب الانسان ويجعله يحسن بتفاهة هذا الكون، فالحياة تلعب معنا لعبة اليأس تهزّ كياننا من الداخل بعد فقدان قريب أو عزيز علينا فكلمة الموت هي النهاية الحتمية في النهاية وهذا ما ورد في قوله تعالى " يا عبادي الذين آمنوا إنّ أرضي واسعة فإياي فاعبدون (56) كل نفس ذائقة الموت ثمّ اليان ترجعون (57)"<sup>3</sup> سورة العنكبوت.

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص23.22.

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص26

<sup>3</sup> سورة العنكبوت الجزء الحادي والعشرون الآية 56.57

ولكن الأجواء والطقوس التي تمرّ بها الجنائز في منطقة القبائل دون ذلك بكثير فهي تشير الى الأفراح أكثر منها الى الأفراح، حيث أن أهل الميّت يجتمعون ويذبحون و يطبخون الطعام (الكسكس) لتوزيعه على الفقراء ليرحبون في تلك الليلة بالأناشيد الدينية، أملا منهم في أن ترتاح روح الميت في قبره، وقد أشار الكاتب الى ذلك في قوله: "كانت جدّتي تدير البيت بحزم...توفيت فجأة في نفس السنة التي التحقنا فيها بالمدرسة... بكيّت عليها كنتاجها موارية لاعتقادها أنها قد أصبحتا مطلقتي اليدين، ودفنها ولديها كيفما استطاعا، بات ينشدها ثلاثون خونيا ههما أناشيد دينية الى غاية الصباح وذبح كبش ووزع الكسكسي على جميع فقراء القرية ورافقهما الى مأواها الأخير اننا عشر مرابطا"<sup>1</sup>

كما أنّه عند موت فرد من العائلة يستوجب على الأهل والأقارب مرافقته الى المقبرة بكثير من البكاء والنحيب مع تعداد محاسنه والتذكير بخصاله الحميدة فمن " عادة الأقارب أن يرافقوا الفقيد الى غاية أطراف القرية، اصطفتّ والدتي واخواتي وبنات عمّي وجميع أفراد عائلة أيت موسى لتوديع يمينه الطيبة المتوجهون الى المقبرة الكبرى ببنيزي لتقبر تحت شجرة الزيتون العريقة المسكونة بالبوح والأشباح، ناقلة معها رقتها وابتسامتها وذكائها، كانت كل النسوة ينتحبن وهن يتذكرن خصالها الحميدة ، ولو أن "نانا" رأّت هذا الحشد من الناس لحقق قليلا من وطأ ذهابها"<sup>2</sup>، فرغم أن الموت قرر محتوم الّا أنّه مخيف لكثير من الناس ولم يسلم هو الآخر من الطقوس والممارسات الشاذة التي تتنافى والشريعة الإسلامية في كثير من الأحيان، لأنها تحتوي على معتقدات خاطئة ولكن رغم كل هذا تبقى متوارثة عليها في هذه البيئة، وهذا ما تحدثنا عنه عبارة عن نسق مضمّر فالحزن ذو معنى واحد ولكن خفاياه تختلف بين الشعوب وهذا ما رايناه في هذه العادة القبائلية المتوارثة عبر الأجيال.

<sup>1</sup> المصدر نفسه ص 74

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 106

## النسق السياسي

4. هوية الوطن

5. رمزية العنوان

6. الهوية الأمازيغية (القبائلية)

## • النسق السياسي

لقد تميزت التجربة الروائية الجزائرية بالحرية والجرأة لدى كتابها، في مواجهة الإشكالية السياسية حيث تعتبر الكتابة رمزا للقوة بدءا من الكتابات السماوية المقدسة الى عصرنا الحالي، وتكتسي الوثائق المكتوبة أهمية ومصداقية قانونية وتاريخية لا تضاهيها الأقوال الشخصية أو الخطابات غير المكتوبة، وتؤيد ذلك المقولة: "يفيد الصوت الابهار أما الخط فيحرك التفكير"<sup>1</sup>.

لم تؤثر الكتابة الأدبية والروائية بشكل خاص في الكتاب الجزائريين، الذين اختاروا الكتابة باللغة الفرنسية، أو حتى الذين فرضت عليهم، لكنها سطت سلطتها على متلقيهم، فحركات الفكر واستدعت اعماله لفهم مجريات الأحداث.

تعد رواية "ابن الفقير" رواية اجتماعية بالدرجة الأولى، لكن اذا ما بحثنا في خباياها نجد العديد من الأنساق فنحن نعيش تجربة مع البنية السطحية بشكل مباشر لكن نكتشف البنية العميقة أو المعنى، فقط عن طريق التعمق في حلّ الشفرة.<sup>2</sup>

وبطبيعة الحال فإن المبدع ابن بيئته، ويعبر عما يسوده إيجابيا كان أم سلبيا، سواء آكان هذا التعبير مباشرا أو غير مباشر، وبالرغم من أن "المضمّر" يمثل عدم جرأة المبدع، الا أنه يبقى ميزة فنية تستفز القارئ من خلال غموضها وتوقظ عنده شعور الفضول الذي يجعله يبحث عن المعنى الحقيقي

<sup>1</sup> Mehani akbal, les idées, médiologique chez moulood feroun, coéditions

NAG/dahlab 2001 p29

<sup>2</sup> روجر فولر، اللسانيات والرواية، تر: لحسن أحمامة، دار الثقافة، الدّار البيضاء، ط01، 1997، ص23

يشير النسق السياسي الى مجموعة التفاعلات السائدة في آية وحدة سياسية مع ابراز وتأكيد العلاقات المتبادلة بين أطرافها، وعبر إطار هذا النسق السياسي تدخل عناصر ومكونات كثيرة كالدولة والقوة وصناعة القرار.<sup>1</sup>

لقد شكل النسق السياسي في رواية " ابن الفقير " وترا حساسا لا يظهر للعيان، إلا إذا تمعنا المعاني واستخلصنا العبر، فنجد أن السياسي لها علاقات مختلفة إما أن تكون لها علاقة بالظروف الداخلية أو علاقاتها بالوطن من خلال علاقاته الخارجية، وخاصة وأن الجزائر كانت في فترة استعمار آنذاك وسنذكر أغلبها فيما يلي:

### 1. هوية الوطن

لقد كان للوطن أثر كبير في الرواية والمتمثل في المدينة القبائلية " تيزي وزو " ونلتمس ذلك في الوصف الدقيق الذي قدمه: "إن السائح الذي يجرؤ على التوغل في عمق بلاد القبائل سوف تخب فؤاده مناظرها يقينا أو مجاملة"<sup>2</sup> شدة جمالها تيزي هي عبارة عن تجمع سكاني من ألفي نسمة، تنتزع دورها انتزاعا الواحدة تلو الأخرى على ربوة ضخمة كأنها فقرات وحش من وحوش ما قبل التاريخ<sup>3</sup>

إذا ما تمعنا جيدا في هذا الوصف، نلاحظ بأن الروائي يخبرنا بأن أرض "تيزي" كانت حية منذ سالف الأزمان لم يتدخل فتح ولا احتلال في تشكيلها

<sup>1</sup> طه الوادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر مصر (ط.د)، (د.ت) ص35

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص13

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص13

وقد أشار الروائي الى بعض البناءات الفخمة فقال: "وهناك بعض البناءات الواعدة التي شيّدت حديثاً بفضل النقود الوافدة من فرنسا، تعرض تلك الدور بمنهجية واجهتها وقرميدها الأحمر وسط ذلك الخراب العام"<sup>1</sup>

والمعني العميق من هذا السياق أن الوطن كان في فترة استعمار

وقال: "يمكن أن يتشكل منزل الثري من قطعتين متقابلتين.....جميع المساكن مشيدة بقوالب الصخر المتبلور والصلصال المخلوط بلبتين، أما السقوف فهي من الأجر المجوف الموضوع على أسرة من القصب"<sup>2</sup>

وان دل هذا فإنما يدل على السياسة التي انتهجتها فرنسا وهي سياسة التجويع والتفكير على الشعب الجزائري وحرمان أصحاب من العيش والعمل

وفي موضوع آخر قال: "للأسر العديد من أشجار التين، وبعض شجيرات الزيتون، وهكتار من الأرض الصالحة للحرث".<sup>3</sup>

لا يعيش رجال الأرض الا من خيراتها كما أنهم يتنفسون لأجل بقائها، فهي تحمل هويتهم وتحضن نهايتهم، وسبب وجودهم مرتبط بالأرض لذا نجددهم دوما على استعداد للتضحية لأجلها، ويجهدون أنفسهم لاستخراج خيراتها وإبقاء حبيبات ترابها ملكا لهم

الوطن لم يكن برموز سياسيته: العدم، الختم، الجيش أو النشيد، بل بوطن الانتماء والأرض تلاحم الأفراد.

<sup>1</sup>مولود فرعون، ابن الفقير، ص17

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص17

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص17

## 2. رمزية العنوان

للعنوان أهمية كبيرة في الوصول الى المتن السردي فهو يمثل عتبة من عتبات النص في توضيح غموضه، وتفكيك رموزه، وبه يمكن الكشف عن طبيعته وخبائاه فالعنوان هو الذي يمكن القارئ من معرفة وتأويل ما تحمله الرواية من دلالات ومقاصد، من خلال وظيفته الإيجابية فهو يؤدي "دورا محوريا في تشكيل اللغة الروائية"<sup>1</sup> ومن ثم تشكيل الدلالة.

وقد جاء عنوان رواية " ابن الفقير " مشحونا بإيجارات عميقة تعبر عن الحالة المزرية لولد بريء يعاني هو وأسرته كل أشكال الفقر والحرمان، فهو لا يجد السكن المريح ولا الأكل الصحي الذي يساهم في نموه الجسمي والعقلي، ولا يجد التعليم السليم الذي ينمي عقله ومعارفه، ولا يستفيد من العلاج إذا مرض، وغير ذلك من ألوان المعاناة التي سيتصور القارئ لهذا العنوان أنه ابن متخبط فيها هو وأسرته، وبذلك سيتشكل عنده صور ومعاني قبلية عن المحتوى العام للرواية.

لأن بلاد القبائل كانت تمر بفترة صعبة وذلك بسبب الاستعمار.

عند قراءة الرواية نجد أن الروائي قد وفق الى أبعد حد في اختيار العنوان، فبعد قراءة الروائية هناك تطابق بين العنوان والمتمن الروائي ومحتواه.

## 3. الهوية الأمازيغية (القبائلية):

إن الملاحظ على النص الأصلي للرواية ظهور أسماء الأعلام بكثرة مما أكد الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، والهوية الأمازيغية للكاتب، والمقصود بالهوية الأمازيغية هنا ليس مجرد وصف ثقافي في متميز داخل المجتمع الجزائري، وإنما هو جزء من كل يهدف للتعبير عن هوية من هويات الذات الجزائرية، التي تظل رغم اختلافاتها محافظة على الكثير من السمات المشتركة.

<sup>1</sup> موقف مقداد وعبد الخطيب، العتبات في الرواية " اعراس آمنة تحت شمس الضحى، مجلة المشكات للعلوم

الإنسانية والاجتماعية، كلية الأدب والعلوم، جامعة العلوم الإنسانية العالمية، المجلد 1، العدد 2، 2014، ص574

يقول "مولود فرعون": "كان منزل والدي يقع في أقصى شمال القرية، في الحي الأسفل منها، ونحن من قروية أيت مزوز، عائلة أيت موسى، ونلقب بمنراد"<sup>1</sup>

فكلمة "آيت" هنا كلمة منحدرّة من جذور اللغة الأمازيغية القديمة، وتكتب باللغة العربية إبن أو ولد، "فرعون" كان مفتخرا بأصوله ونسبه مما زاد أهله في النص الأصلي "آيت مزوز" و "آيت موسى"، وأكد على الكلمة الأمازيغية المحلية لإبراز الهوية الأمازيغية، وكذلك ما نلاحظه التزاوج اللغوي بين الأمازيغية والعربية في آن واحد، فاسم "موسى" هو اسم فرعوني قديم نسبة إلى نبي الله موسى عليه السلام، وقد ذكر في القرآن الكريم، مما يؤكد الهوية الإسلامية للشعب الجزائري. مهما كان التزاوج اللغوي طاعى في الرواية، والنص الأصلي كان باللسان الفرنسي إلا أن الكاتب الجزائري لا يتخلّى عن محليته ويتمنى الاعتراف بهويته الأمازيغية الإسلامية كأساس ركن في شخصيته.

إن الدين واللغة والخصوصية الثقافية هي من أهم مكونات أي هوية، وتبقى الثقافة هي حامل خصوصياتها، والوعاء الذي يستوعب فلسفتها وأهدافها، لذا يصعب الحديث عن الهوية بمعزل عن الثقافة والتراث الاجتماعي التي تبني حضارة أمة.

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص 20

## النسق الاجتماعي

1. الحياة الاجتماعية
2. نسق السلطة
3. النسق الذكوري
4. نسق اللباس
5. نسق الأطعمة
6. الممارسات الخرافية في العلاج
7. نسق الطبقة

## • النسق الاجتماعي

تعد رواية "ابن الفقير" رواية اجتماعية واقعية، كونها اثارت قضايا اسرية واخرى متعلقة بالسلوك الانساني وأوجهه، لأنّ الانسان اجتماعي بطبيعته، تتجلى عناصر الثقافة الاجتماعية داخل رواية ابن الفقير في حقول دلالية متفرقة، وهذا ما سنراه في هذه الرواية التي كانت بصدد التعريف بالهوية الاجتماعية الجزائرية عبر حقبة تاريخية تزامنت والاستعمار الفرنسي.

تظهر هيمنة البعد الاجتماعي في رواية "ابن الفقير" في انساق اجتماعية متعددة نذكر منها:

### 1. الحياة الاجتماعية:

من المظاهر التي تجسد الثقافة الاجتماعية في رواية "ابن الفقير" صورة تجمع شيوخ القرية في مقر "تاجماعث" لتبادل اطراف الحديث ومعالجة شؤون القرية "ولكون القرية مشكلة من ثلاثة احياء فإنها تحتوي على ثلاث تاجماعث أيضا، لكل تاجماعث مقاعدها الحجرية وصفائحها الملمعة"<sup>1</sup> من خلال هذا التعبير نلاحظ بأن الروائي قصد استعمال تاجماعث في أكثر من موضع، وهو تعبير امازيغي يستعمل في منطقة القبائل، بمعنى اخر أن هذه اللفظة تابعة لسياق ثقافي خاص بمنطقة القبائل.

ولقد أشار إلى بعض الألعاب الشعبية منها "لعبة الدامة" التي غالبا ما يتداول عليها أفراد المنطقة في "تاجماعث" قائلا: "نجد حيثما اتجهنا نفس لعبة "الدامة" محفورة على الصفائح والتي نلعبها بالحصي"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص15

<sup>2</sup> الصدر نفسه ص 15

فاذا ما نظرنا الى جذور اللعبة فإننا نجدها دخيل أجنبي على المجتمع الجزائري، اذ ظهرت اللعبة في أوائل عام 1100 ميلادي في جنوب فرنسا وبعدها انتشرت في جميع انحاء العالم وهذا دليل على ان الغزو الاستعماري كان له اثر بالغ على المجتمع الجزائري.

من ابرز المهن التي ذكرت في الرواية: مهنة الفلاحة ورعي الغنم والعمل في الحقول الزيتون، وحياسة الصوف وتعد هذه الأخيرة حرفة قديمة متداولة عند النسوة، وقد وصف الروائي خالته اثناء عملية حياكة الصوف "قائلا": ان حياكة الصوف حقيقة حرفة كحرفة النمل، لكنها لا تتطلب مكانا واسعا، ينصب المنسج عموديا على بعد مسافة قصيرة من الحائط (.....) تجلسان مسنودتين ظهرهما على الحائط وتأخذان في تمرير السدى في اللحمة (.....) قبل نصب المنسج فان خالتي تنهمكان إما في تمشيط الصوف المغسول، او في عزله"<sup>1</sup>.

على الرغم من صعوبة وشقاوة هذه المهن إلا أنها تمتن لكسب لقمة العيش، من خلال هذا التصوير الذي قدمه الروائي للمتلقى الهدف منه أن يقدم صورة بسيطة عن الحياة في بلاد القبائل.

## 2. نسق السلطة:

يتجلى هذا النسق في رواية "بن الفقير" في سلطة الجدة "تسعديت" اذ تلعب دورا هاما في حياة العائلات الجزائرية، باعتبارها أساس بناء الروابط الاجتماعية والأسرية، فهي نموذج رمزي للتقاليد والقيم الأساسية، وبها تتماسك الهوية الأسرية التي لا يمكن الاستغناء عنها، اما سلطة الجدة فتتجسد في الرواية اين وصفها بطل الرواية: "كانت جدتي تدير شؤون البيت بحزم وتفرض طاعتها على الجميع، توفيت فجأة في نفس السنة (.....)"

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص53

وقال آخرون في رثاء الجدة إنها كانت العمود الأساس في المنزل<sup>1</sup> فالروائي بهذه العبارة قام بإبراز دور سلطة الجدة ومكانتها في البيت، إذ كانت هي المسؤولة عن المعاش وتجلب الطعام و تحدد بدقة الكمية التي تحتاجها الأسرة، ليس هذا فقط بل كانوا يلجؤون إليها في كل كبيرة وصغيرة، ومن هنا يمكن بأن تقول بأن الجدة في العائلات الجزائرية شيء مقدس جدا وسلطتها ثابتة في البيت وكلمة واحدة ينبغي ان تتخذ.

### 3. النسق الذكوري

لقد برز هذا النسق بشكل كبير في رواية "ابن الفقير" فنسق الرجل سيطر على مختلف شؤون الحياة الاجتماعية الثقافية، ويظهر هذا النسق بتقليده وسلطته اللامتناهية على الانثى، حيث نلتمس في رواية "ابن الفقير" الجانب الذكوري في كون البطل الصبي والوريث الشرعي على المثل والقيم والأعراف، والعادات الموروثة، "ففورولو" الطفل الاول المؤهل لمستقبل العائلة لا يرفض له طلب، حتى أشار الكاتب مولود فرعون في قوله "جدتي هي داية القرية فقد كانت تلقمني بكل ما لَدَّ وطاب مما يوهب لها من عطايا (.....) أستطيع ان اضرب اخواتي وبنات عمي وأفلت من العقاب..... وكنت اغلظ في الكلام مع من هم أكبر سنا من أفراد عائلتي ولا يستدعي ذلك سوى الضحك وعلامات الاستحسان"<sup>2</sup>

وهذا دليل على اهمية الذكر في المجتمع القبائلي اي انه يباح له في كل تصرف سواء كان رديئا، ام جيدا، وهذا ما جعل "فورولو" ذو شخصية مغرورة ومتسلطة في قوله: "إن طغياني كان يتسلط بكيفية أخرى على اختي الكبرى كانت باية مكلفة خصيصا بالسهر على راحتي وبتسليتي"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص61

<sup>2</sup> مولود فرعون، ابن الفقير، ص28

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص29

وهذا يعني ان السلطة الذكورية لا تتجلى عبر الاب فحسب وإنما عبر الولد كذلك.

#### 4. نسق اللباس

يعد اللباس من المستلزمات الضرورية المعيشية للفرد داخل مجتمعه، كونه يوفر الستر والوقاية.

وقد عرف اللباس منذ أن وجد الإنسان، وأخذ في التطور كلما تطور فكره وثقافته، والمجتمع الجزائري بدوره يتميز بأزياء تقليدية وأخرى حديثة تابعة من ثقافته، وقد زحمت الرواية بالعنصرية والتعريف بالزبي القبائلي، كما أشار الكاتب إلى هذا في قوله: 'كانت تشكل بدورها عنقودا مفعما بالضجيج متعدد الألوان يغلب عليه اللون الأسود للمناديل واللون الأحمر للفوضات'.<sup>1</sup>

فالقوطة عبارة عن قماش زاهي الألوان، وتعتبر من الألبسة الخاصة ببلاد القبائل وجزء من التراث الفلكلوري القبائل بامتياز، فاستعمل "مولود فرعون" لكلمة (القوطة) في النص كان من صميم النسق الثقافي القبائل وبصمة للتراث الثقافي الأمازيغية الخالصة.

ويقول بطل الرواية معبرا في موضوع آخر عن اللباس النسوي بدقة: "كانت ترتدي قندورة بيضاء ذات ورد صغيرة، وعلي خالصرتها فوطة من القطن يمسكها خيط أحمر بدلا من الحزام، فلم تكن تطبق حزام الفلانيا المعهود لدينا.

فاللباس القبائل تمتد أصوله في جذور الحضارة الأمازيغية، ويعتبر جزء من اللباس الفلكلوري القبائلي، فهو عبارة عن غندورة تطرز بخيط حريري خاص (خيط الحنة) ويحتوي القماش على نقوش ورسومات ذات دلالة خاصة مستوحاة من التراث الأمازيغي، وما يزيده جمالا مناديل سوداء اللون تضعها المرأة أسفل حضرها ويقال إنها ما يبين المرأة المتزوجة، وهذا دليل على مدى تمسك المجتمع القبائلي بهويته وتراثه.

وفي موضوع آخر ذكر للباس التقليدي خاص بالرجال يدعى القندورة وتعرف بأنها لباس واحد متصل ببعضه، فيه قطعه يمكنها أن تغطي الرأس وهي للقلنسوة، والتي حسبها المترجم شاشية أو طربوش، نلاحظ أن الألفاظ ذات بعد اجتماعي يمكنها أن تخلط أوراق المترجم، وحتى وإن كان قريباً من الثقافة التي يترجم منها، أو إليها أو من كلاهما.

### 5. نسق الأطعمة

يزخر تراث كل أمه بأكلات شعبية تقليدية تعد أحد أبرز المعالم الثقافية الاجتماعية، وإحدى روافد الهوية والتراث، ولم تخل الرواية من الأطباق الشعبية التقليدية المعبرة عن الأصالة الأمازيغية "يعد الطعام بعداً من أبعاد الثقافة، فهي تطلعتنا إلى نوعية طعام مجتمع ما، بحيث يمكننا من معرفة طريقة تفكيرهم، وهذا ما جعل الروائي يهتم بالأكل والعادات الغذائية باعتبارها من المواضيع المهمة في الرواية" فالأدبي ابن بيئته

إذا ما نظرت إلى أصل الطبقّي فإننا نجد له جذوراً عميقة في التراث الكسكسي أو الكسكي أو سيكسو هو وجبة شمال أفريقيا قديمة جداً يطبخ بالبخار ويضاف إليه اللحم، أو الخضار أو الفول الأخضر المفور أو الحليب، أو الزبدة والسكر الناعم، حسب الأذواق والمناسبات فنلاحظ أن الكسكسي يختلف في طريقة تقديمه وطهيه من منطقة إلى أخرى، فيصف الكاتب طابق الكسكسي في قوله: "بعد حين سيتبين أنا لحليمة أكبر كومة من الحطب الجاف في الحي..... تسخن وجبة اليوم المكونة من الكسكسي والبلبول في صحن من الصلصال الأحمر..... نقدمه وهو يخشخش ويفور في نفس الطبق فننتلق حوله ونلتهمه بين حدة الجوع وعجلة المتسرعين"

من خلالها هذا الوصف الذي قدمه الكاتب يتبين لنا الحالة الاجتماعية المزرية بسبب الفقر

والحرمان الذي كان يعاني منه أفراد الحي

وإذا ذكرنا بلاد القبائل أو كلمه الأمازيغي على السنتنا فإنه تحضرنا صوره زيت الزيتون، أو شجرة الزيتون أو التين المجفف، هذا الإرث الفلاحي الذي لا تستغني عنه مائدة العائلة القبائلية، فلم تقتصر حقول الزيتون على الطبقة الفقيرة، بل تعود ملكيتها إلى الطبقة الثرية "فيوكل المالك ذاك الحقل وتلك الشجرة لفلان من الناس يحرسها ويلتقط زيتونها ويطحنه ويسلم زيتة إليه"

وان طاقة إنتاجه تكون بدقة متناهية وكذا بالنسبة لكمية الإنتاج من الزيتون ونوعية الزيت

#### المنتجة

تحظى حقول التين بأهمية كبيرة بالنسبة للعائلات القبائلية، فهي تعتبر كالعملة النادرة في مطابخهم "ولا نحتسب حقنة التين الجاف التي نخصمها بين الوجبات من وقت لآخر"

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن القبائل المنحدر من طبقة فقيرة ليست له القدرة على توفير مختلف الوجبات من بينها حقنه من آيتي المجوف.

### 6. الممارسات الخرافية في العلاج

أن الأفكار التي يملكها المجتمع القبائل للعلاج أقل ما يقال عليها إنها أفكار مجنونة توارثها عبر الأجيال واستخدموها للتداوي ونسخ بعضها في التراث الثقافي لهذه القبائل عبر سنوات متعاقبة، رغم أنها لا تمد للعلم بصلة فهي مجرد خرافات لا أساس لها من العلم والطب، وفي هذه المناطق صورة الممارسات الطبية لدى الأهالي معروفة بالخرافات والأساطير حيث كان أهالي هذه القرى يشخصون المرض كما يحلو لهم، فعندما يعاني المريض من الهذيان ويقول أشياء غير منمنبهة فدائماً يتجه الأهالي إلى أن سبب المرض هم "الجنون" كما ورد في قول الكاتب "إنهم الجنون، إنّ والدكم يصارعهم منذ ساعته تصافر فورولو وتضاعل وتمنى ألا يشعر الجنوب بوجود الفذ أقعد والده

فهم أقوىاء جدا<sup>1</sup> والحل الوحيد أمامهم في هذه الحالة هو الاستعانة بمرابط من مرابطي القرية ليخرجهم من جسد هذا المريض ليشفى من سمعته وقد أشار الكاتب إلى هذا بقوله: "وجد في البيت شيخا بصدد كتابه تميمة لوالده، وكان الوالد ونيس أيقظ المرابط المريض لاستجوابه، كان رمضان يردّ بعقلانية على أسئلة الشيخ وهذا لم يمنح الطالب من استنتاج معاني حفية للكلمات"<sup>2</sup> حيث رأى المرابط أن هذه الحالة التي وصل إليها الرجل لان "الجنون أزعجوا أثناء الليل بالقرب من ومنع صحاذ للمنشر، وأنهم ولجوا الجسد لأنه لم تؤخذ الاحتياطات اللازمة لطردهم بالصيغة المعتادة التي تشبه شيئا مثل فادريتو وساتاناس"

حيث يصل المرابط بعد تشخيص الحالة ومعرفة السبب إلى وضع العلاج المناسب الذي يكون بطريقة غريبة نفسها التي شخّص بها المريض حتى يرى المرابط أنه: "الإخراج الجنون من الجسد يجب التضحية بالتيس، تبخير بطن المريض بورقة غاروردي مكتوبة من الوجهين، تكرر هذه العملية ثلاث أوراق غار تحمل كل واحدة منها سطرًا، سطران، ثلاثة أسطر من تخطيط الطالب" حيث إن هذا النوع من الممارسات يدخل في مجال السحر والشعوذة وهو أمر محرم في الدين الإسلامي حيث إن الله تعالى حرم السحر ولعن الساحر حيث أتى وذلك في قوله تعالى "لا يفلح الساحر حيث أتى"<sup>3</sup>. إن هذه الممارسات الشاذة في بلاد القبائل تصطدم وتعاليم الدين ممّا يولد صراعا ثقافيا في بيئة واحدة وذلك نتيجة الجهل وعدم الإدراك تبقى هذه العادات والتقاليد منتشرة إلى حدّ اليوم فهي مرتبطة بالتاريخ الثقافي لتلك المنطقة.

حيث أهل القبائل "مؤمنون جدا، ومنحرفون جدا في الوقت ذاته ولهم ثقة تامة في ما يكتب لهم شيوخ الدين "الطلبة" من معوذات تحضرهم، وتدفع عنهم الشرور وتتسبب لنسائهم الإنجاب" فنشأ

<sup>1</sup> مولود فرعون ابن الفقير ص 126-127

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 127

<sup>3</sup> سورة طه الآية 69

أهل القبائل من نساء ورجال على هذه العادات والتقاليد حتى تصبح بمرور الوقت كقانون يحشدون عليه ويقدمونه.

## 7. نسق الطبقيّة

أن أي مجتمع يحتوي على عدّة طبقات فهناك طبقة غنيّة وتلك الطبقة مالكة للجاه والمال وهي طبقة العليا، وطبقة فقيرة معدمة وتعتبر الطبقة الدّنيا في الترتيب الاجتماعي، والمجتمع القبائلي كغيره من المجتمعات ينطوي على هذه الطبقات، وبمجرد وجود طبقتين هذا وحده سبب كاف ومدعاة للنسق المضمّر حيث تظهر الطبقيّة في تيزي وزو بوضوح وذلك في تقسيمهم، حيث إنّ هناك نوعين من الأحياء الحيّ الأعلى يعيش فيه النّاس ذوي الأصل المعروف ميسوري الحال، أمّا الحيّ الأسفل فهو للنّاس البسطاء، وهذا ما أشار إليه الكاتب في قوله: "إنّ الحيّ الأسفل على سبيل المثال منحدر من مزور وكان لمزور خمسة أبناء ذكور أطلقوا أسماءهم على كل عائلة من العائلات الخمسة للقرية، وهذا السّبب فإنّ تلك القرية تتضمن آل آيت رابح، وآيت سليمان وآيت موسى، وآيت العربي وآيت قاسي أما آل بشيرن فإنّ جدهم ليس سوى لاجئ قادم من جرجرة، لذلك فهم يزهدون في أصولهم فهم يعيشون يشعرون في قرارة نفسهم بالدّناءة، حاليا ما من أحد يذكر ذلك لذلك يعدّون أنفسهم أيضا محدرين من آل مزور أصلا، على الرّغم من أنّه في بعض المناسبات الخطيرة يحدث أن يشحنوا لهم ذاكرتهم.<sup>1</sup>

حيث يبقى هناك تباين واضح بين سكّان الحيّ والأسفل فسكّان الحيّ الأسفل معروفين بفرهم وقلة حيلتهم وهم الذين ينتمي إليهم الكاتب حيث أشار إلى ذلك في قوله: "كان منزلا والدي

<sup>1</sup> مولود فرعون، ابن الفقير ص18

يقع في أقصى شمال القرية في الحي الأسفل منها"<sup>1</sup> وهم سكان يغلب عليهم الفقر والإملاق أما سكان الحي الأعلى فقد كانوا أناسا أثرياء ومترفين وقد أشار الكاتب إلى ذلك في قوله: "أصل حليمه زوجه عمّي من الحي الأعلى..... كان والد حليمة..... جنديا في فليق مدغشقر عاد منها ينصب من المال".

وهذا التقسيم أي حيّ الأعلى والأسفل يندرج عليه بالضرورة وجود فيئتين من الناس فهناك من "هم مكتوفن بذواتهم وهناك من ينفقون ثروة أو قاترة أو وهناك من هم في مرحلة إلهية"

حيث إن هذا الاختلاف في المستوى متخفي في أنساق لغوية مضمرة بين الأفراد والجماعات حيث يمكن أن يحدث هذا النوع من النسق المضمّر إذا كانت الحماة تفضّل إحدى الكنات على الأخرى وقدور ذلك في قول الكاتب: "لا أعتقد أن جدي قد اشتكت يوما من والدتي فاطمة، فقد كانت تعيش تحت ظلّها غير أنها كانت العدو اللدود لحليمة وجدت العجوز نفسها بين المطرقة والسندان لكونها تحب لونيس أكثر من رمضان ولكنها تفضل فاطمة على حليمة حيث دائما ما تكون التفرقة بين الكائن سببا رئيسيا لبداية الفتنة والعداوة.

<sup>1</sup> المصدر نفسه ص 23

الخاتمة

## خاتمة

نصل من خلال دراستنا الى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

تعد رواية ابن الفقيير مزيجا من الواقع والخيال، حيث أنها تحمل في طياتها بعد السيرة الذاتية من جهة وبتخللها بعض من الخيال من جهة أخرى، فقد إتخذ الروائي من حياته مادة خام وجعل من النسق المضمير عنصرا هاما مثمرا في بناء هذه الرواية، فاختلف النسق المضمير في مفهومه وتمركز شروطه وخصائصه، مما اعطى له اهتماما واضحا.

إنّ مفهوم النسق المضمير هو من انتاج المؤلف المضمير (الثقافة) حيث شكل هذا النسق نقطة مركزية في دائرة النقد الثقافي والتي يدور حولها بقية المصطلحات، فالنسق هو كلّ دلالة مختبئة في المسمى "المضمير" تحت غطاء الجمالية ومتوسطة بهذا الغطاء، ولا تتحدد هذه الأنساق إلا عبر وظيفتها، فالنسق الثقافي يتحدد عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة الشقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومعين.

النسق الثقافي الذي يعد ركيزة مهمة للنسق المضمير ويمثل البعد الثقافي للإنسان في حياته واختلافه وتميزه بين الشعوب الأخرى، الذي يحدث عندما تتعارض القيم والعقائد المختلفة وهو فكر ذاتي.

فالرواية تحمل في طياتها تضارب الانسان القبائل مع عاداته وتقاليده.

النسق الاجتماعي هو ذلك الجسر الذي يشمل الافراد والجماعات حيث يسعى كل طرف الى تحقيق غايته واهدافه وسلطته الذكورية على الطابع الانثوي

اما السياسي هو نوع من أنواع الأنساق المضمرة المعبر عن هوية الوطن الامازيغي (القبائلية)

وفي الاخير نأمل بأن نكون قد وافقنا في هذا العمل المتواضع الذي يعود الفضل في انجازه بالدرجة الاولى الى الله سبحانه وتعالى والذي اعطانا القوة وألهمنا لنحمل مشقة العمل بالصبر والامل رغم هذه الظروف.

## قائمة المصادر والمراجع

### 1. المصادر

مولود فرعون، ابن الفقير، دار ثلاثتيفيت، عبد الرزاق عبيد بجاية، 2014.

### 2. المراجع

Mehani akbal, les idées, médiologique chez mouloud feroun, 1  
coéditions NAG/dahlab 2001 p29

### المراجع

2. أديت كوزيل عصر البيئوية، تر، جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت 1993.

3. روجر فاوئر، اللسانيات والرواية، تر: لحسن أحمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط01،

1997.

4. سورة الروم الآية 21

5. سورة العنكبوت الجزء الحادي والعشرون الآية 56.57

6. طه الوادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر مصر (ط.د.)، (د.ت).

7. عبد الرحمان عبد الدايم، النسق الثقافي في الكناية، مخطط رسالة ماجيستر، اشراف

بوجمعة شتوان، جامعة مولود معمري تيزي وزو 2011.

8. عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، طبعة 1 2009.

9. عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة.

10. عبد الفتاح يوسف، القراءة النسقية (سلطة البنية وهم المحادثة) منشورات الاختلاف،

الجزائر العاصمة، ط1، 2003.



19. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، يوم الخميس 19 ديسمبر 2014 م ، 9:40 <http://www.p48bac.com> أستاذة في علوم الكلام في جامعة لوميسير-ليون-

20. ينظر: صبيحة عودة زغرب، غسان كنفاني جمليات السرد في الخطاب الروائي، دار لاوي للنشر والتوزيع ط1-عمان، 1429هـ 2006م.

### 3. المعاجم

21. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مج1، المكتبة الإسلامية، ط، إسطنبول، تركيا، (دت).

22. ابن منظور، لسان العرب، مج 6، دار صادر، ط1، بيروت لبنان، 1917، ص353.

23. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار فكر بيروت، لبنان، 1979م، ج5.

### الرسائل الجامعية:

1. وردة معوش، صراع الأنساق الثقافية في رواية عمارة الخوص كيف ترضع الذئبة دون أن تعضك، رسالة مقدمة لنيل الماجستير، اشراف لونيس بن علي السنة 2012، 2013 ص61